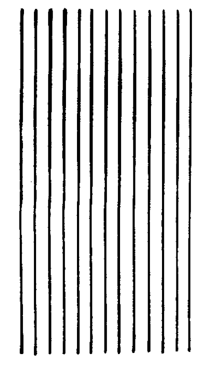


روائع
المسرح العالمى

المعقول .. واللامعقول

- أنتيجون : كوكتو
- اتجاه ممنوع : سالاكرو
- فتاة للزواج : يونسكو

ترجمة وتقديم : فتحى العشرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

هذه هى الترجمة الكاملة لمسرحيات :

Antigone : Jean Cocteau

Sens interdit : Armand Salacrou.

Une fille à mariage : Eugène Ionesco.

الاخراج الفنى : أسامة سعيد

جــلال
الحياة والموت ..
المعقول واللامعقول .
فتحى

تصـــدير

من كوكتو الى يونسكو ، مرورا بسالاكرو ، رحلة طويلة من التأليف المسرحى والحركة المسرحيـة ، لا فى فرنسا وحدها ، ولكن فى العـالم أجمع •• فتاريخ المسرح ، لم يكن ملكا لبلد دون غيره من البـلاد ، ولم يكن قاصرا على زمن دون سـائر الأزمـان •• ولن يـكون •• فالمسرح ملك للتـاريخ ، تاريخ الانسانية ، وتاريخ المسرح •

ومن كوكتو الى يونسكو ، مرورا بسالاكرو ، جولة خصبة من المزج بين المعقول واللامعقول ، استلهمت التراث وحلقت فى الخيـال ولمست أرض الواقع •• استدعت المـاضى واخترقت

حجب المستقبل وعاشت الحاضر •• أنتيجون الأسطورية ، والفتاة العصرية ، والمرأة التى تولد طاعنة فى السن ثم تنحدر الى سن الشـــباب •

ومن كوكتو الى يونسكو ، مرورا بسالاكرو ، ثلاثيـــة متنوعة من المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد ، ولكنهـــا تنتمى جميعا الى قرننـــا العشرين ، بكل ما فيه من تناقضـــات ومتناقضـــات ، بكل ما فيه من معقول ولا معقول ، من المعقول واللامعقول !

فتحى العشرى

جان كوكتو
والمسرح الشاعرى

كانوا ثلاثة يمثلون معا الثالوث المسرحى الذى اشتهر فى فرنسا وفى العالم كله .. قاعدة هـذا الثالوث هوجان جيرودو وأحد أضـلاعه هوجان أنوى وضلعه الثالث والأخير هوجان كوكتو ..واذا كان هـذا المثلث قد تصـدع بسقوط قاعدته وضلعه الأخير .. أعنى بوفاة جيرودو وكوكتو من بعده فان أنوى لايزال حيا يواصل السير ويمضى فى الطريق الى مداه .

صحيح أن زعامة المسرح الفرنسى المعاصر قد أصبحت فى أيدى كتاب جدد يطلقون على أنفسهم ويطلق عليهم النقاد اسم العبث أو اللامعقول ولكن هل معنى هـذا أن نضـع الزهور على قبر كوكتو لنمضى مسرعين وراء ركب بيكيت ويونسـكو وجينيه . كلا بطبيعة الحال فان الانبهار بالمسرح الجديد لا يعنى

عدم الوفـاء لتلك الدراما الرائعة التى جمعت بين الشـعر والأسطورة ورح العصر التى كان كوكتو مسرحها الحى المفتوح الذى لن يسدل عليه الستار .

عبقرى من القرن العشرين :

ولدجان كوكتو لأبوين محبين للفن فى الخامس من يوليو سنة ١٨٨٩ فى ضاحية ميزون ـ لافييت .. وعاش حيـاة أقل ما يقال عنها أنها حياة فنية أو حياة فنان .. كان يجوع ويتشرد يسكر ويعربد ، يكسب ويخسر ، يفشل وينجح ، ولكنـه لم يعرف الكراهية .. كان يحب كل الناس حتى أعدائه .. وكان يردد كلمة سبينوزا « الانسان الحر لا يتصرف أبدا بمكر ودهاء ولكنه يتصرف دائما بحسن نية » .

وكان كوكتو يتصرف بحسن نية ويحيا بتلقائية كالتى كانت تحيا بها صديقته المغنية الشـهيرة ايديث بياف ، كانت العلاقـة بينهما تشبه الى حد بعيد بل تكاد تكون صورة مكررة للعلاقة التى تنشأ عادة بين القمم .. بين مارلين مونرو (قمة الجنس) وأرثر ميللر (قمة العقل) .. بين مادلين رينو (قمة الأداء) وجان ـ لوى بارو (قمة الابداع) .. بين سيمون دى بوفوار (قمـة الأدب) وجان بول سارتر (قمـة الفلسفة) .. بين الساتريبولية (قمة الفن) ولوى أراجون (قمة الفكر) .

والفارق الوحيد بين كل هـذه الثنائيات وبين الثنـائي « بياف ـ كوكتو » هو أنهم عاشـوا جميعا عيشة الأزواج .. أما هما فقد عاشا عيشة الأصـدقاء .. لأن ايديث كانت المرأة الوحيدة التى عرفها جان .. وغـيرها كان كل أصـدقائه من الرجال .. راديجيه وبيكاسـو وسترافنسكى وماكس جاكوب وجان جينيه وأبولينير وجاك ماريتان .. ولكن هـذه الصداقة لم تدم طويلا ، فقد أصيب كوكتو بنوبة قلبية حادة انتقل بعدها الى بيته فى « ميللى لافوريه » التى تبعد ٣٠ ميلا عن باريس . وهناك تلقى نبأ وفـاة صديقته ، فأحس بصمت الدنيـا الكئيب وشعر بلا جدوى الحياة ولم يحتمل الصدمة فقال : « انى محموم الى درجة اليأس .. فموت ايديث قد هزنى هزا عنيفا » وبعدها دق قلبه دقات سريعة متوالية استمرت ساعتين ثم توقف القلب الى الأبد . .

مات بطريقة رومانسية حالمـة كما مات روميو حزنا على حبيبته جوليت .. مات فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٣ وقبل أن يموت كتب جان كوكتو على لوح من الحجر يغطى قبره الموجود فى فوتنا نبلو هـذه العبارة : « اننى باق معكم » ، نعم يا كوكتو .. أنت باق معنا .

هذه هى حياة الفتى العابث والشيخ التائب جان كوكتو ، وحياة كهذه لم يكن غريبا أن يكون صاحبها شاعرا وكاتبـا

وناقدا ومخرجا وممثلا ومصـــورا ونحاتا وموسيقيا ومصمما للديكورات والرقصات . فكوكتو ليس واحدا من هؤلاء وانما هو كل هؤلاء مجتمعين فى وحدة بللورية واحدة . ولكن كوكتو المتحدث كان أروع هؤلاء جميعا ، فان جميع أعمـــاله ــ على عظمتها ــ لا تعدل نصف ساعة من الاصغاء اليه وهو يتحدث ..
كتب كوكتو سبع روايات وثلاثين ديوانا من الشعر وخمســة وأربعين كتابا نقديا وعشرة أفــلام سينمائيـــة وخمس عشرة مسرحيـــة .

فاذا كان لنا أن نقتصر هنــا على مسرحه ، وجدنا أنفسنا مضطرين الى الرجــوع الى ســنة ١٩٢٠ زمانــا والى مسرح « الشـــانزيليزيه » بباريس حيث بدأ يعرض اتتاجــه المسرحى بكوميديا راقصة اسمها « جاموس على السطح » تلاها بمسرحية « أزواج برج ايفل » .

واتجــه كوكتو بعد المسرح الغنـــائى الراقص الى مسرح شيكسبير الكلاسيكى فألبسه ثوبا عصريا جديدا القصــد منه تقليم أظافر التراجيديا وتجريدها من هيبتها وجلالها التقليديين وذلك بتناول مسرحية « روميو وجوليت » تناولا جديدا بعيدا كل البعد عن المعالجة الأصلية .

ثم توجه بعد ذلك الى كتاب المسرح القديم فتناول مسرحية

« أوديب ملكا » ومسرحية « أنتيجون » اللتان كتبهما سوفوكليس تناولا عصريا جديدا •• وقد قـدمتا على مسرح الأتيليـه فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ •

وبعدهما قدم كوكتو أسطورة « أروفيوس » التى شملها بالتجديد •• وهى تراجيديا من فصل واحد تتخلله استراحـة قصيرة •• وقد قدمت على مسرح الفنون فى ١٧ يونيو ١٩٢٩ بديكور من تصميم جان هوجو فأكدت للجمهور أصالة هـذا الكاتب وجدته •

ثم قدم مسرحية « الصوت البشرى » وهى مسرحية من فصل واحد وشخصية واحدة هى شخصية امرأة تعانى سكرات الموت ولكنهـا تنتظر آخر مكالمـة تليفونية من حبيبها الذى هجرها • ويدق جرس التليفون وتتلقف السماعة •• وبعد حديث قصير تطلب من محدثها أن ينهى المكالمـة ذلك أن حياتها قد انتهت بالفعل • والمسرحيـة شريحة نابضة من الواقع الحى فى ثوب رائع الحبكة خال من التعقيد •• وهى مونودراما أو دراما ذاتية من نوع جديد •

الى أن طلع على جمهور المسرح بقمة انتاجه المسرحى وهى مسرحية « الآلة الجهنمية » التى قدمت فى العاشر من ابريل سـنة ١٩٣٤ على مسرح لوى جوفيـه فأحس الجمهور بنضج كوكتو واعترف النقاد بأن جديدا فى عالم المسرح قد تم فى هـذه

الليلة .. ولعل هذا العبث الجديد للأساطير القديمة وهـذا الأسلوب المبتكر فى استعارة فكرة من سوفوكليس أو شيكسبير أو غيرهما وتفريغها فى رؤيةفنية مغايرة تستند اساسا الى معطيات التحليل النفسى وأساليب التعبير السيريالى وأسلوب المسرح الشاعرى ثم الجمع بين هـذه العناصر كلها فى صورة وحى شامل والهام متكامل ورؤيا متجانسة هو أهم ما أضافه الشاعر كوكتو الى فن التأليف المسرحى .

ولم يكتف كوكتو بهذا كله بل واصل الطريق ، طريق التجديد والابتكار ، فقدم مسرحية « فرسان المائدة المستديرة » ـ وهى مسرحية من ثلاثة فصول أخرجها ووضع ديكوراتها بنفسه وقدمت على مسرح العمل فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ـ فلاقت نجاحا كبيرا لم يتوقعه الكاتب مما دفعه فى العام التالى مباشرة الى كتابة مسرحية « الآباء المزعجون » وهى مسرحية من ثلاثة فصول أيضا دفعها الى مسرح (السفارات) فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٨ باخراج آليس كوكيا وديكور موتان .

وفى سنة ١٩٤٠ قدى كوكتو مسرحية « الوحوش المقدسة » وهى مسرحية من ثلال فصول صمم ديكوراتها كريستيان بيرار وقدمت على مسرح ميشيل فى ١٧ فبراير .. وقدم فى العام التالى مسرحية « الآلة الكاتبة » وهى مسرحية

من ثلاثة فصول أيضا صمم ديكوراتها جان ماريه وقدمت على مسرح هيبرتوه فى ١٠ ابريل •• ثم تلاها بمسرحيــة « رينوا وأرميد » (١٩٤٣) ومسرحية « النسر ذو الرأســين » وهى مسرحية من ثلاثة فصول صمم ديكوراتها آندريه بوربير وصمم ملابسها كريستيان بيرار وقام بأداء أدوارها الرئيسية ادويج فويار وجان ماريه وقدمت على مسرح هبرتوه فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ •

وأخيرا قدم كوكتو مسرحية « باكوس » فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ وهى مسرحيــة من ثلاثة فصــول هى الأخرى صمم ديكوراتها كوكتو بنفسه وقام بأداء الأدوار الرئيسية فيهــا ممثلة فرنسا الأولى مادلين رينو والممثل العبقرى جان لوى بارو اللذان استطاعا أن يجسدا فن الكاتب تجسيدا رائعا اعتلى بفضــله عرش المسرح الفرنسى ، ففى نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، انتخب كوكتو عضوا فى « الأكاديمية الفرنسية » واختير بعد ذلك أميرا للشعر فى فرنسا •

المسرح الشــاعرى :

كان المسرح النثرى شيئا موجودا وكذلك كان المسرح الشعرى ، لكن كوكتو رفض كلا المسرحين ليضيف الى المسرح ما أسماه بالمسرح الشاعرى •

والمسرح الشاعرى عند كوكتو كان نتيجة طبيعية لمـا أسماه

بالمسرح (التعبيرى) او كان شيئا ملازما له . فماسى سوفوكليس ويوريبيدس صيغت كلها شعرا ولما تناولها كورنى وراسين من جديد فى القرن السابع عشر صاغاها شعرا كذلك .. الى ان جاء سارتر وكامى وانوى وأوبى فصاغوا أسلوبها نثرا وعالجوا مضمونها معالجة عصرية..أما كوكتو فهو وحده الذى كان أول من صاغ أسلوبها (وعصر) مضمونها بطريقة جديدة مبتكرة سمحت للمضمون أن يلائم الشكل ويتجانس معه ، فلا الشكل يغاير المضمون ولا المضمون ينفصل عن الشكل ، أما المضمون فهو الشاعرية وليس الشعر .. شاعرية الفكرة وشاعرية الاحساس ، شاعرية اللغة وشاعرية الأسلوب .. وهذه الشاعرية هى التى سمحت للمسرح (التعصيرى) عند كوكتو أن يحقق تكامله الفنى : شكلا ومضمونا ، اطارا وصورة ، قالبا وحشوا . ومن هنا كانت نظرية كوكتو فى المسرح .

ولندع الآن العناصر المكملة لهذه النظرية من ضرورة قيام كاتب العمل المسرحى باخراجه على المسرح ووضع موسيقاه وتصميم مناظره وملابسه وسائر الفنون المسرحية المصاحبة لنرجع عائدين الى أهم « مسرحيات » كوكتو .. « أنتيجون » وتمثل قمة مسرحياته ذات الفصل الواحد .. و « النسر ذو الرأسين » وتمثل قمة مسرحياته ذات الفصول الثلاثة .. و « الآلة الجهنمية » التى تقع فى أربعة فصول ، والتى تمثل قمة

« مسرح كوكتو » على الاطلاق •• اما « أنتيجون » ، أنتيجون الجديدة أو أنتيجون القرن العشرين •• فيفصـل بينها وبين « أنتيجون » سوفوكليس خمسة وعشرون قرنا من الزمان •

صحيح أن سـوفوكليس كتب هـذا الموضـوع فى سنة ٤٤٠ ق•م • وأن روتروه عالجه فى سنة ١٦٢٨ وأن الفييريه تناوله فى القرن الثانى عشر وأن بالونش نظمـه شعرا فى قصيدة رمزية شهيرة وأن جان أنوى صاغه فى مسرحية من ثلاثة فصـول احتفظ فيها بمعطيـات سوفوكليس الأساسية فقط • صحيح كل هـذا ولكن الصحيح أيضا أن كوكتو تنـاول مسرحيـة « أنتيجون » تناولا جديدا يختلف عن تناول أولئك وهؤلاء •• فقد صاغ مسرحيته فى فصل واحد كشف فيه الموضـوع بعد أن عالجه معالجة عصرية فى ديكور تجريدى خالص أعده بيكاسـو وأنغام موسيقية وضعها أوينجر • وقد قدمت هـذه المسرحيـة على مسرح الآتيليه فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ فأحس الجمهور انه أمام شيء جديد وأصيل •

ان أسطورة « أنتيجون » أغرت الكثيرين من كتاب الدراما المحدثين على تناول موضـوعها •• والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن أنتيجون ككل بطلات سوفوكليس ، كأليكترا مثـلا ، تمتلىء قوة وارادة وتفيض عظمة وانسانية •

لذلك نجد أن كثيرا من الأساطير اليونانيـة الأخرى لم

تلق نفس الاهتمام الذى لقيته « أنتيجون » عبر العصور • لا لشيء الا لأنها « رمز الثورة الخالدة للنفس النقية ضد الخطر المادى » •

الحنين الى المأساة :

كان لأوديب ابنتان هما أنتيجون وايسمن وولدان هما اتيوكل وبولينيس • أما أنتيجون فهى التى كانت تصحب والدها بعد أن فقأ عينيه ذلك أنها نذرت لنفس القدر الذى أنصب على أسرة أوديب فولداه قد تقاتلا فى مدينة طيبة حيث كان يدافع اتيوكل عن المدينة فأعتبر بطلا وكان بولينيس يمنعه من ذلك فأعتبر خائنا • لهذا أمر كريون الذى انتقل حكم طيبة الى يديه أن يلقى جثمان الأول كل طقوس ومراسم الدفن وأن تترك جثة الثانى فى العراء نهبا للغربان • ولكن آنتيجون تتحدى هذا القرار وتصمم على أن تدفن أخاها على العكس من أختها ايسمن التى تأخذ جانب الحذر خوفا على نفسها وعلى أختها •• وعندما يعلم كريون أن أنتيجون قد قامت بدفن أخيها مرة ثانية يثور غاضبا ويأمر بدفنها حية •• ويأتى ابنه هيمون ، خطيب أنتيجون ليدافع عنها فيؤكد له الأب ضرورة المحافظة على القانون والنظام • ويتمسك الابن برأيه فى أن فردا بذاته لايمكن أن يكون وحده على صواب • فيحتد النقاش بينهما • غير أن أنتيجون تساق الى مصيرها فتدفن حية فى حفرة بالصحراء

العارية • وعندما يتراجع الملك عن قراره يكون الوقت قد فات . فأنتيجون شنقت نفسها وأنتحر هيمون على صــدرها وماتت أوريديس من الحسرة والألم • مات الثلاثة وتركوه نهبا للعذاب والنــدم •

وهنا يسدل الستار على المــأساة الأسطورية التى تتكرر وتتجدد وتتعصر مع الأيام • وبينما يحتفظ آنوى بمعطيات مأساة سوفوكليس الأساسية فقط يطبقها كوكتو بحذافيرها •• غير أن كليهما لا يتمسكان بالمعتقدات الدينية التى تأمر بالدفن الا لخدمة الاطار بالنسبة للأسطورة القديمة التى ينقلها كل منهما حسب طريقته الخاصة بتناول حديث •

وعندما ينقل كوكتو هــذه الأسطورة فى اطار عصره يجعل أنتيجون تتحمل مصــيرها ككل الأبطال الأسطوريين فى المسرح الحديث ، كوكتو يجتهد فى اظهــار قدرة الكائن البشرى على تخطى نفسه والوصول الى منتهى العظمة •

أما الديكور فتجريدى خالص •• كل شىء غارق فى اللون الأبيض ليؤكد البعد عن تحديــدات المكان والزمــان ، ان كل ما يهمنا هو العنصر الانسانى وحده ، فالانسان هو الانسان فى كل زمان ومكان •

وأما الحدث فبسيط •• لأن السؤال الوحيد الذى يقفز الى الأذهان هو : هل تغير ما ســوف يطرأ على الموقف الذى

اتخذه كل من كريون وأنتيجون ؟ فقد وقف الاسان أحدهما فى مواجهة الآخر كل يتصرف بمقتضى ادراكه للحياة ووعيـه بها ، وقد كان الادراك مختلفا مما أدى الى تمسكهما معا كل برأيه الخاص لا يريد التنازل عنه ، فأنتيجون تمثل النقاء الأصـيل ومرده الارادة الشخصية وكريون يمثل الضعف الانسانى ومرده المتطلبات المـادية .

وتخبرنا الجوقة التى يحتفظ بها كوكتو فى مسرحيته التى تمثل عند سوفوكليس المديـنـة نفسها وتمثل عند كوكتو النفس ذاتها ، تخبرنا الجوقـة بموت البطلة .. يحـدث ذلك فيجرى الحدث حسب ايقاع منتظم رتيب حتى النهاية المنتظرة .

وكوكتو رغم كثافة الموضـوع لا يضحى بشحنة البطلة السيكولوجية فهى أمامنا كاملة تكاد تكون عارية تماما من فرط كمالها ، لأن المنحنيات والمتموجات النفسية قد كشفت كمثيلاتها البيولوجية وظهرت شخصـية أنتيجون شخصـية غير عاديـة أو سوبرمان.ولهذا فان جميع الشخصيات ليست هنا الا لتوضح بجلاء مظـاهر شخصية أنتيجون المختلفة فى تعقدها وتضـاربها كما فى قيمتها البطولية وعواطفها الانسانية . ولهذا أيضا فان كريون هو الشخص الوحيد الذى يقف فى مواجهتها .

وترفض أنتيجون الدعوة الى الحياة لأن الموت عندها هو

اليقين المرغوب فيه وهو التحقيق الكامل لذاتها وفيه تكمن تلك الارادة البطولية التى تظل محتفظة بها حتى النهاية والتى تظل أقوى شيء لديها ، فهى عندما تواجه الموت لا تشعر بضعف أو تردد كما هو الحال بالنسبة الى الانسان العادى . وهى تجازف دون أن تدرى بانسانيتها التى لم تعد مقنعة .

ولذلك يعجل كوكتو بمصير بطلته المأساوى قبل أن تتردد فى موقفها .

أما الدعوة الى الحياة فتتمثل فى محاولة كريون اليائسة لاثبات عبث فعلتها وخطأ تمسكها بها .. ويدعم رأيه استنادا الى أن الجثة التى نالت شرف الدفن لم تكن معروفة بالتحديد ، وعلى هذا فهناك احتمال أن تكون الجثة الأخرى الملقاة للغربان هى فى الواقع لاتيوكل الذى أريد دفنه وتكريمه بالفعل . وما هذا التفضيل الا من أجل النظام واحترام قوانين الدولة . ولكن أنتيجون ترفض هذا التعليل الواهى لأنها كانت تكرم أخاها وليس أحد أخويها دون الآخر ، وتتطور محاولة الاقناع الى رجاء فيذكرها كريون بحبيبها وخطيبها هيمون فلا تعدل عن رأيها .. ومنذ هذه اللحظة يتبين لنا أن أنتيجون انما تعمل من أجلها هى لا من أجل أخيها الذى لم يكن الا سببا ودافعا .

كريون وأنتيجون هما الصراع بين النظام والحق .. فكريون هو رجل الدولة المشغول بالمحافظة على النظام

وأنتيجون هى الانسان المتمسك بالحق ، العـامل على اقراره وتدعيمـه •

غير أننا نجد فى كريون شاعرا قبل أن يكون ملكا ، فهو يعرف جيـدا نبل أنتيجون المرتبط بكبريـاء أوديب • فـاذا ما رفضهما ـ النبل والكبرياء ـ فلأنه يدرك الامكان لهما فى حقل الضرورة العامة •• كريون حساس يعـانى موقف أنتيجون ويتألم له ويظل انسانا خالصا فى مواجهة « الفعلة القذرة » التى ارتكبتها . وتصر على ارتكابها مرة أخرى •• فاذا ما تمسـك بأوامره فذلك أنه يدرك استحالة موقف آخر يمكنـه التصرف على أساسه •

القضية المطروحة اذن هى قضية التضحية بالذات فى سبيل الواجب •• قضـية رفض السـعادة التى تقوم على أشـلاء الآخرين ••وهى فى نفس الوقت ، قضية صراع الانسان الخالد الذى يأمل فى الفكاك من مصيره •• وقضية هـذا مضمونها ليست قضية عصر بذاته وانما هى قضية الوجود البشرى كله بل هى أخطر قضاياه • وأنتيجون ليست الا صـورة لعصرها تنعكس على العصور جميعها •• وهذا ما يؤكد الصلة بين الكاتب ومسرحيته فبطلته تعـانى من حالة نفسية تشبه فى الحقيقة والى حد كبير حالته النفسية •• وهى تتخذ موقفا فكريا قريبا من تلك

المواقف الفكرية الشهيرة التى اتخذها الكاتب فى حياته الخصبة العريضة • وعلى هـذا المستوى نجد أن مسرحية « أنتيجون » هى كوكتو كما كانت رواية « مدام بوفارى » هى فلوبير •

ما هى ، والأمر كذلك ، قيمة أسطورة (أنتيجون) كما صورها جان كوكتو ؟

قد لا نخطىء عندما نؤكد أن هـذا الكاتب يتمتع بحس تراجيدى شفاف فبطلته تقبل تحمل المأساة كمقابل لتحقيق ذاتها وحتى تكون على حد تعبيرها : « هى نفسها لا غيرها » •• وبهذا تتخلص مما هو عبث فى مضمون الدور الذى تقوم به أو عبث التضحية « غير المجدية » كما يقول لها كريون وعبث « رفض السعادة » كما تقول لها ايسمن •

رفض أنتيجون للسعادة يحتوى اذن على تخل أو هو يقوم أساسا على هذا التخلى الذى يتحقق فى كونها صورة لعصرها •• أو هكذا جاءت رؤية الكاتب لها •

ان عمل أنتيجون اليائس والبطولى فى نفس الوقت هو عمل ملىء فى صيمه ببطولة ويأس عصر بأكمله •

وموضوع التخلى عن الحياة بالتضحية موجود على ثلاث درجات مختلفة فى اطـار الفكرة المسيحية فى القرن العشرين • ففرنسوا مورياك يدفع بطلة « المحبون الفاشلون » الى التخلى

عن الحب والتضحية بحياتها ، صحيح أن التخلى كان نزولا على ارادتها ولكنــه تم بأمر . حيث كانت تخضــع لطغيان الأب • وهنرى دومونترلان يحمل الفارو فى مسرحية « سيد سنتياجو » على أن يضحى بابنته فى سبيل الله من أجل الرغبــة فى الطهر والنقاء • وبول كلوديل يلجىء فيولان فى مسرحية « بشــارة مريم » الى التضحية القائمــة على الحرية والاختيار وفى أجمل تعبير عن التخلى المسيحى •

وعلى عكس شــكل التخــلى الدينى هــذا فــان المسرح الأسطورى يضع الانسان فى مواجهة مصيره وحده وبغير الاعتماد على أحد دون انتظار لجزاء • وهــذه التضحية نفسها هى التى تخلق موقف أنتيجون المأساوى وعظمتها •

ان هذه الأسطورة تكشف عن مأساة مصــير الانســان الحديث الذى يجد نفسه عاجزا عن حل المشاكل التى تعترضــه الا اذا لجــأ الى الكذب والرياء والخداع •• والا اذا لجــأ الى الشر •• أما اذا لم يلجأ الانسان الى الشر فى حل مشاكله أو اذا ظل عاجزا نتيجة لصدقه مع نفسه ومع غيره فهو يحقق الجانب الآلهى الموجود فيه والذى يجعل منه « الكائن الأعلى » فى الكون •

فخ اسمه المسرح السينمائى :

فى سـنة ١٩٤٨ قام كوكتو بتحويل مسرحيـة « النسر ذو الرأسين » الى فيلم سينمائى أخرجه بنفسه كمـا كتب له السيناريو .. لكن كوكتو واجه مشكلة على جانب كبير من التعقيد وهى طول النص المسرحى ، طولا يصعب معه تحويل المسرحية الى فيلم سينمائى وعلى ذلك عمد الى تقطيع النص المسرحى من حين الى آخر مما أدى الى تفكك الأحداث بعد أن كانت كل جملة تلعب دورها الايجـابى فى الحبكة الدراميـة ومما أدى أيضا الى عرض الفيلم فى صورة ميلودراما بوليسية شارك السيناريو فيها بطمس معالم المأساة .

ولكى يعوض كوكتو الفشل الذى أصابه وينتقم لمـا لقيه فى محـاولة « النسر ذو الرأسـين » قام بتحويل مسرحيـة « الآباء المزعجون » الى فيلم سينمائى فاستطاع فى هـذه المرة أن يخرج من الفخ الذى وقـع فيه وأن يبسط يده على الفن السابع كما سبق أن بسطها على فن المسرح .

ولكن اذا كان كوكتو قد وقع فى الفخ عند تحويل مسرحية « النسر ذو الرأسين » الى فيلم سينمائى فهل وقع فى فخ آخر عند تقديم النص نفسه على المسرح ؟ هذا ما سنراه الآن .

***

تدور أحـداث المسرحيـة فى قصر كرانتز بألمـانيا التى

سيطرت عليها النزعة الرومانسية فى ذلك الحين •• وموضـوع المسرحية مستوحى من قصة ويتلز باخ التى تحكى عن لويس الثانى والامبراطورة اليزابيث امبراطورة النمسا •

يرفع ستار الفصل الأول عن حجرة الملكة فى ليلة من الليالى العاصفة ، وتمهد ايديث بيرج الوصيفة والدوق ويلنشتين كاتم الأسرار لظهور الملكة على المسرح ، فنعرف على الفور أن الملك قتل منذ عشر سنوات فى اليوم التالى لزواجه وأن الملكة تعيش منذ ذلك اليوم وحدها بعيدا عن رجال البلاط •• بعيدا عن جماهير الشعب •• بعيدا عن مباهج الحياة •• قريبة فقط من ذكرى زوجها المقتول •• غير أن الملكة تقرر فى تلك الليلة أن تتناول العشاء مع ظل زوجها فى الحجرة التى لم يقدر لهما أن يدخلاها معا •

وتظهر الملكة مهيبة •• انها لا تخاف العاصفة بل تحبها •• تفتح النوافذ وتأخذ فى تناول طعام العشاء مع صـورة زوجها التى تزين جدران الحجرة وفجـأة يسمع من بعيد صوت طلقة نارية تتلوها ثانية وثالثة ثم طلقات متلاحقة تهدأ وتكف بظهور شاب يشبه الملك تماما يتسلق الشرفة ويدخل الى الحجرة فى الوقت الذى تدق فيه ايديث الباب •• وهنـا تبدو الملـكة مشدوهة لهذا التشابه وترتعد من دقات الباب فتسرع الى اخفاء

المتسلق الجرىء تحت الفراش •• وتدخل ايديث معلنة للملكة أن الحراس يبحثون من مجرم يريد قتلها كان يطلق النار فى الحديقة منذ قليــل • ولكن الملكة تطلب من ايديث أن تخرج ولا تحاول ازعاجها مهما حدث • وتتحدث الملكة الى ستانيسلاس الشاعر الهارب الذى كانت تقرأ له من قبل فتشرح له ظروف حياتها وكيف أن عائلتها المطبوعة على الفن تكرهها لرداءة أشعارها وسذاجة لوحاتها •• وهكذا « تموت وحدها بموت زوجهــا » والليــلة « تخرج من التابوت » لأول مرة فيــدفع لها القــدر بستانيسلاس الذى لا يتمكن من قتلها ويخشى أن يتردد فى تنفيذ هذا القتل •• ولكن الملكة تريد أن تموت لأن شيئا فيها يحن الى الموت ويهفو الى الفناء فتقرر أن يكون ذلك « بيد بطل لا بيد مجرم » فتمنح ستانيسلاس فرصــة أخرى فان لم يقتلها فى مدى ثلاثة أيام فليس أمامها الا أن تقوم هى بقتله •

وتسكن العاصفة ويسدل ستار الفصل الأول •

ويرتفع ستار الفصل الثانى عن مكتبة الملكة فى صباح اليوم التالى حين نشاهد الملكة وهى تقدم ستانيسلاس لايديث على أنه مؤدبها الجديد ، أما ايديث فتهرع الى أم الملك وتسر لها بكل أخبار الملكة وبعد لحظــات تظهر الملــكة مرة أخرى يتبعهــا ستانيسلاس واذا بها تضــع أمامه مسدسا وتطلب منه أن يطلق عليها النار ، ولكنه يتردد طويلا ويرفض أن ينفذ أمر الملكة •

فى هذه الأثناء يدخل فوهن رئيس الحرس الملكى فتسرع الملكة الى اخفاء ستانيسلاس • ولا تطول زيارته اذ يسارع الى الخروج ويظهر ستانيسلاس من جديد ، فلا يتجدد الحديث ولكن يسود الصمت لتبدأ العيون فى الكلام ، وبعبارات ترتجف على أطراف الشفاه يعترف كل للآخر بحبه الدفين • أما ايديث فتلحق بفوهن وتطلعه على كل شىء •• ويصمم ستانيسلاس على الرحيل فلا تملك الملكة الا أن تتخلى عن هـذا الصعلوك لتخرج الى الحياة : تحكم وتتحمل مسئوليات الحكم وتواجه كل شىء ، الشعب والحاشية ورجال البلاط ، وتبدأ باصـدار أول مرسوم ملكى وهو زيارة المدينة •

وفى الفصل الثالث والأخير تدخل ايديث المكتبـة لتخبر ستانيسلاس برغبـة فوهن فى مقابلته •• وبعد برهـة يدخل رئيس الحرس الملكى ليهنىء ستانيسلاس على نجاحه فى اقنـاع الملكة بالرجوع الى الحكم •• غير أن ستانيسلاس يفطن الى مقالبه التى يدبرها فوهن للملكة بالاشتراك مع أم الملك ، ويدرك فوهن ذلك فيهدده بالقتـل ان لم يتـكتم الأمر بل وان لم يكن أداة فى يده ضد الملكة • وعندما يرفض ستانيسلاس الاذعان لأوامره يلقى فوهن القبض عليه بتهمة الاشتراك فى تدبير مؤامرة لقتل الملكة • وأخيرا لا يجد ستانيسلاس الا أن يطلب منه اطلاق سراحه مخافـة أن تلغى الملكة زيارتها الهامة للمدينـة عندما

تسمع بالأمر • وتقبل الملكة لتشرك ستانيسلاس فى بهجتها وتطلب منه أن ينتظرها فى حجرتها حتى تنتهى من بعض أعمالها ثم تعود اليه لتودعه قبل الرحيل • وبعد قليل يهبط ستانيسلاس وقد تجرع كمية كبيرة من السم لا تسمح له بالحياة أكثر من ربع ساعة •• وعبثا يحاول الفتى المسموم أن يشرح للملكة الأمر ، ولكن الملكة ترفض أن تستمع اليه وتثور فى وجهه فلا يملك أن يغمد خنجره فى صدرها فتستسلم للموت ضاحكة • وعلى هذا المشهد المأساوى الساخر يسدل ستار الختام •

نوعان من النقد :

تلك هى خطوط العرض فى هذه المسرحية المحيرة التى اختلف حولها النقاد ، بل توقف أمامها النقد بحيث يمكن اعتبارها حدا فاصلا بين نوعين من النقد ، هما النقد الحديث والنقد المعاصر ، فالنقاد المحدثون خرجوا بعد العرض الأول ثائرين ساخطين معلنين فشل المسرحية لأنهم وجدوا فيها « روى بلاه » و « هيرنانى » ولكن بدون أشعار فيكتور هوجو • أما النقد المعاصر فيرى فى هذا الرأى مجافاة للحقيقة ، فلا « روى بلاه » ولا « هيرنانى » ولا « النسر ذو الرأسين » جريمة فى حق هوجو أو كوكتو •

من بين هؤلاء المعاصرين الفيلسوف الناقذ جبرييل مارسيل الذى صرح بأن « النسر ذو الرأسين » عمل « محكم الصنعة

لم نر مثله منذ وقت طويل » ولكن كلمة جبرييل مارسيل فيها الكثير من المغالاة ذلك أن « النسر ذو الرأسين » هي احدى المسرحيات الحية التي تحتل مكانة خاصة في مسرح كوكتو الرومانسي ـ الميلودرامي ، فلم يكن موت البطلين على خشبة المسرح ووجه الشبه بين العاشق القاتل والملك القتيل ، لم يكن ذلك أسلوبا رومانسيا وكفى بل كان ضرورة درامية ، القصد منها ايهام الملكة وايقاعها في حبائل الخداع • كما أن العاصفة ـ في الفصل الأول ـ كانت بمثابة المقدمة التي تصاحب هواجس الملكة وتلازمها وتعلن في الوقت نفسه عن مقدم ستانيسلاس المفاجيء •• غير أن المبررات كانت جاهزة من قبل بل كانت جاهزة قبل أن تجهز فالعاصفة هبت والدراما تحولت الى تراجيديا يقوم فيها الكلام مقام أي شيء آخر •

والرومانسية هنا ما هي الا واجهة وراء مظهرها البراق حقيقة كل العصور • هذه الواجهة هي التي تضفي على « النسر ذو الرأسين » لمحة غير واقعية تماما كما في قصص الجان • فالليل والعاصفة والملكة الوحيدة وتسلل شاب يشبه الملك ، كل هذا كفيل بأن يخلق جوا من الغرابة والتوتر يختلف تمام الاختلاف عن كل ما سبق أن كتبه كوكتو للمسرح • والمسرحية عبارة عن سيمفونية من ثلاث حركات : الحركة الأولى تعزف قصة الملكة ، والحركة الثانية تعزف قصة ستانيسلاس المقابلة

لقصة الملكة ، ثم تتزاوج القصتان فى نهايـة الحركة الثالثـة والأخـير •

قصة الملكة هى التى تفتتح المسرحية اذن • تفتتحها بطريقة بارعة حيث يلعب حوار الملكة النفسى دورا أساسيا فى تجميع عناصر التراجيديا ، ففى البداية تناجى الملكة ذكرى الملك ثم تتكلم وحدها بعد أن تلتقى بستانيسلاس الذى يظل صامتا فى مواجهتها •• وتستمر فى الكلام وحدها الى أن يسدل الستار بعد أن تكون قد قالت كل شىء •• وتتمثل قوة هـذا الفصـل فيما احتواه من مونولوجات متفرقة شغل أحدها خمس عشرة صفحة بحيث استغرق خمس عشرة دقيقة على المسرح ، الشىء الذى لم يحدث فى أى مسرحيـة من مسرحيـات كوكتو ذات الأهميـة •

وهكذا يغوص هذا الفصل فى مونودراما أو دراما ذاتية من نوع جديد •• يذكرنا بفصـل « الصوت البشرى » الوحيد حيث تعمل كل كلمة على تطوير الحدث وتعجل كل عبارة بوقوع المأساة ! وهذا ما يؤكده أسلوب المسرحيتين بل أسـلوب كوكتو وهو أسلوب درامى غاية فى الاتقان •• فالخط الدرامى الصاعد لا يتوقف أبدا حتى يصل بنا الى ذروة الحدث •• وعلى هـذا النحو أيضا نجد أن كل مشهد من المشاهد الافتتاحية فى كل فصل من الفصول الثلاثة يرتفع الى هذا المستوى نفسه •

فاذا تركنا الشكل المسرحى بفصوله الثلاثة وانتقلنا الى المضمون بشخصياته الثلاث وجدنا أن الشخصية الأولى تكمل طبيعة الشخصية الأخرى وأن الاثنتين معا تكملهما الشخصية الثالثة والأخيرة • فالملكة امرأة حساسة مرهفة متحمسة تريد أن تجعل من حياتها مأساة بعد أن مات زوجها وعاشت وحدها عشر سنوات فى جحيم الوحدة القاتل وهى صادقة فى كل ذلك وان جاء صدقها مسرحيا الى حد كبير •• فهى لكى تزيد من آلامها تتناول العشاء مع ذكرى زوجها وتلعب معه الورق وهى بعد هذا كله انسانة طيبة القلب تنبض بالحياة على الرغم من كل ما تبدو فيه من عزلة ووحدة وأسى •

وأما ستانيسلاس فرومانسى هو الآخر •• يملأ آذان الملكة باطراءاته المبالغ فيها ، فى الوقت الذى يفضح فيه أنانيتها ويكشف عن كبريائها المزور • وهو عندما يتسلل الى غرفة الملكة كان سيدخلها قاتلا ولكنه سرعان ما يتحول الى عاشق أو « رجل فقير فى مواجهة امرأة باهرة الثراء » • وهكذا يتلاقى الخطان فى البداية بنفس الحدة التى ينفصلان بها فى النهاية •

ان بداية الفصل العنيفة السريعة تشكل مع نهايته الهادئة الرتيبة انسجاما بالغا وتناغما بديعا •

وتتكون المراحل الثلاث فى تلك السيمفونية الرائعة من حديث ستانيسلاس مع الملكة ـ مرحلة أولى ـ حيث يأخذ الخط

الدرامى فى الصعود حتى يصل الى مشهد السقوط المزدوج ، اذ يدخل الكونت فوهن فيغير دخوله مجرى الاحداث لشده فى وجود ستانيسلاس داخل القصر وتربصه له • وعندئذ تجد الملكة كما يجد ستانيسلاس انهما مقضى عليهما حتما • وتعمل سرعة الحدث على تعرية كل منهما أمام الآخر • فيلقى كلاهما بكبريائه المصطنع وخجله المتوارى فيعترف كل منهما بحبه للآخر ويعرفان معا — فى المرحلة الثانية — ان فوهن قد علم بوجود ستانيسلاس عن طريق ايديث فيعلوهما شعور بالضياع والعرى ولا يجدان بدا من البحث عن مخرج وايجاد حل . كائنا ما كان هذا الحل ، وأخيرا يجدان الحل : عودة الملكة الى تولى زمام الحكم •• حتى تتمكن من القضاء على فوهن وعلى أم الملك فيستتب لها الأمر ومن ثم تتمكن من حماية ستانيسلاس •

وفى المرحلة الثالثة يظهر فوهن من جديد فيكشف حقيقة ستانيسلاس ويقوم فى المشهدين اللذين يظهر فيهما مقام « همزة الوصل » على حد تعبير كوكتو نفسه ، أو الرباط الذى يمسك بزمام الموقف الدرامى كله ، يحركه ويحرك الآخرين كما يتحرك هو فيه بثورية درامية صارمة • لذا نحس بالتناقض العجيب بين موقف فوهن رجل الأمن القادر المتمكن المتسلط القوى الذى يقوم مقام الشرطى وموقف ستانيسلاس المتخاذل

الضائع الضعيف « الذى يقوم مقام اللص » وفيما يدور بينهما من حوار يتحقق أجمل وأحلى مشاهد المسرحية على الاطلاق .

ان فوهن هو أداة القدر المتحكم فى مصائر الأبطال ، لأن المسرحية انما هى حقيقتها دراما القدر الذى يلعب بالأشخاص كما يلعب الممثل بعرائس الماريونيت .

وهكذا تبوء كل محاولة للانقلاب من قبضة القدر بالفشل بل وتفضى أيضا الى العقاب ،كما حدث فى رواية « الآباء المزعجون » عندما فشل ميكائيل نفسه لأنه حاول أن يحيد بالأبطال عن الاتجاه الذى رسمه لهم القدر .. والاستثناء الوحيد فى مسرح كوكتو « الآلة الجهنمية » حيث يترفق القدر بأوديب فيعيد اليه قوته وصلابته بعد أن يفقأ له عينيه .. وفيما عدا ذلك نجد أن أبطال كوكتو جميعا لا يجرؤن على التطلع الى تلك القوة الخفية التى تقودهم الى حيث لا يعلمون ، هذا ان هم فكروا فى ذلك أبدا .

وهنا يلقى الكاتب بسؤال كبير يتضمن الفقرة التى استعارها من بلزاك والتى وضعها على رأس المسرحية ومؤداها : « انها لا تستطيع حتى أن تعتمد على المصادفة فهناك حيوات لم تعرف المصادفة أبدا » كما يتساءل الكاتب على لسان بطلته عن كنه القدر وجوهره ، فهى تحلم بقدر مأساوى عارم يجرفها الى

دخيلة ذاتها فتغلق على نفسها الباب وتظل وحيدة خائفــة بين جدران القصر الكبير لأنها كانت تعلم مقدما أن هــذا هو قدرها وما عليها الا أن تنتظر .. وتنتظر .. ويطول الانتظار ولكن أحدا لا يجىء . فالمصادفة لا ترتطم بقدمها مدى عشر سنوات ، ولذا كانت سعادتها غامرة عندما هبط عليها ستانيسلاس الشبيه بالملك ، فأكد هبوطه عليها رغبتها فى الموت بل وجعلت تتشبث به عندما علمت أنه ما جاء الا ليحقق لها هــذه الرغبة المحمومة . ولكن تغيرا كبيرا يحدث ، فالفتى لا يقوى على قتلها بل على العكس من ذلك يقع فى غرامها . وتواجه البطلة تصدعا عميقا فى بنائها الداخلى ، فبعد أن كانت تحــارب نفسها أصبح عليها الآن أن تحارب قدرها .. أن تحارب الموت .

ويدق ناقوس الخطر عندما تعــلم الملكة أن ستانيسلاس تجرع كأس السم وليس أمامه الا دقائق معدوات بعدها يموت وتبقى هى تعانى آلام الحياة . ولكن رغبتها الأكيدة فى الموت هى التى تقفز من داخل صــدرها لتتفجر على لسانها كلمات عنيفة حارة لا يملك ستانيسلاس ازاءها الا أن يغمد خنجره فى صدرها . وهنا فقط تهدأ ثائرة الملكة لأن ما كانت تتمناه أصبح أمامها حقيقة واقعة .. انها تحتضر مفارقة الحياة بلا وداع تماما كما جاءتها بلا أى داع .

أحبت الملــكة ستانيسلاس واعترفت له بحبهــا ، فأبقى

عليها •• ولكنها لم تكن ترغب فى ذلك لأنها كانت تريد أن تتخذ منه أداة لتحقيق رغبتها المأساوية : الموت •• وهى هنا تتفق تماما مع أنتيجون بطلة المسرحية التى تحدثنا عنها من قبل •

أما المشهد الختامى الذى يلخص الفكرة الأساسية ويبرز المحور الأصلى ففيه يترنز مغزى المسرحية الدقيق الذى يبدأ ويعود أبدا الى الانسان •• الانسان الذى يواجه قدره ومصيره محاولا أن يغير من هذا القدر أو ذاك المصير •

ان الملكة تحاول جاهدة أن تغزل خيوط قدرها بنفسها •• بارادتها وكامل حريتها • وهنا تقفز فكرة الاختيار ، تلك الفكرة الوجودية التى تثير قضـــية هامة هى نفسها اللغز العميق الذى تطرحه المسرحية : هل يختار الانسان قدره ويغزل بنفسه خيوط هذا القدر أم أن الذى يحدث هو قدره بالفعل الذى لا دخل له فيه •

هذا هو السؤال الكبير الذى تطرحه المسرحية دون أن تجد له اجابة ما ، ذلك لأنه ليس من طبيعة الفن أن يجيب وان كان من طبيعته أن يثير السؤال ، تماما كما فى حالة الفلسفة والفكر الخـــالص •

هذا السؤال الكبير نفسه هو الذى طرحته أيضا مسرحية

« أنتيجون » كمـا رأينا ، وهو الذى تطرحه كذلك مسرحيـة « الآلة الجهنمية » كما سنرى .

و « الآلة الجهنمية » هى أول مسرحيـة كبيرة يكتبهـا كوكتو .. يكتبها من أجل فصل واحد أساسى هو الفصـل الذى يلتقى فيه أوديب بأبى الهول .. ذلك الحيوان ذو الصدر الحجرى بجناحيه الممتدين فى انتظار المسافر الغريب أو البطل الذى يحمل قدره بين شفتيه .

وتحمل المسرحية شعارا هو « الآلهة موجودون وهـذا هو الشيطان » هذا الشعار يضعنا مباشرة أمام الفكرة التى يثيرها الكاتب منذ البداية والتى تشير الى العلاقة بين الحتمية والحرية قائلة بأن الانسان لا يتمتع الا بقدر ضئيل من الحرية المعصوبة والمحـاصرة .

ان « الآلة الجهنمية » هى الزمن المتروك للانسـان لكى يدور فى فلكه حتى الساعة المحتومة التى يندفع فيها نحو الهلاك والعدم .

لقد قصد كوكتو منذ البداية ـ بالعنوان نفسه ـ المعنى الحرفى للآلة .. آلية الانسان أن الانسان الآلة فى مقابل الرب الاله . غير أننا نفاجأ عند لقاء أوديب وأبى الهول ، بأن الآلهـة أنفسها تتصرف بآلية وتأمل فى الحصـول على حريتها والهروب

من أقـدارها المحتومة هى الأخرى .. لقد مل القدر اقتراف الجرائم ، أنه يتوق الى العفو ولكن دون جدوى فالربة التى تكشف لأوديب بارادتها لغز الموت ، خارجة بذلك عن طوع الآلهة لأول مرة تعلم مقدما بأن الانسان الذى أحبته وأنقذته انما تدفع به نحو هـلاك من نوع آخر .. نوع أشد عنفا وأكثر ضراوة .. ذلك أنه سيتزوج من أمه وينجب منها ثم يفقأ عينيه فى النهاية .

ان مشهد شبح لايوس والد أوديب يشبه الى حد بعيد مشهد شبح والد هاملت مع الفارق بأن الأول ظهر للجنديين بينما ظهر الآخر لابنه .

أوديب مثل هاملت كلاهمـا يبحث عن قاتل والده بحثـا مضنيا .. وكلا الوالدين يظهر شبحه ليعلن الحقيقة .. أحدهما يريد أن يخبر ابنه بما حدث والآخر يريد أن يحـذر زوجـه مما سيحدث .. ولكن صوت الشبحين لا يصل الى مسامع الابن والزوجة معا .. فتكون النتيجة أن يدخل هاملت فى عراك يؤدى بحياته ويدخل أوديب فى صراع يؤدى بعينيه .

ولعل الاختـلاف الوحيـد بين هاملت وأوديب هو أن الأول غير مذنب بينما الأخير مذنب .

أما فى مسرحيـة كوكتو التى تتميز عن مسرحية شكسبير

فنجد أننا أمام فصلين فى وقت واحد ، علينا أن نربط بينهمــا بالتضاد لا بالاتصال ، فالفصل الأول تدور أحداثه فى نفس الوقت الذى تقع فيه أحداث الفصــل الثانى •• والاثنان ينطلقان الى نفس الهدف وهو محــاولة منع الكارثة واكتمال المــأساة •• فشبح لايوس قد ترك مقره الأخير وجاء الى أسوار طيبة ليحذر جوكاست من الزواج المدنس •• وأوديب قد هجر كورنثة مهد صباه هربا من نفس الزواج المدنس •• ولكن ما هى مكونات الأسطورة من بدايتها ؟

يخبرنا الصوت فى بداية المسرحية بالأحداث قبل أن يرتفع الستار : لابطال نبؤة أبوللون ، تترك جوكاست ، ملكة طيبة ، ابنها فوق الجبــل ويحمله الراعى الى بوليب •• كان بوليب وميروب ، ملك وملكة كورنثة يعانيان من العقم •• وكأنما هبط عليهما من السماء الطفل أوديب أو مثقوب القــدمين الذى لم تمسه الدببه والذئبة بأذى ، فيتبنيانه » •

« وعندما يشب الفتى أوديب يقصــد الى معبد دالف ، ليستشير الاله الذى يقول له : « سوف تقتل أباك وتتزوج من أمك » • عليه اذن أن يتجنب بوليب وميروب •• ويدفعه الخوف من قتل أبيه ومضاجعة أمه الى مصيره » •

« ففى ليلة من ليالى السفر ، وفى المفترق حيث تتلاقى طرق

دالف ودولى ، يتقابل مع كوكبة من الحراس ، فيصـدمه جواد بقوة ، وينشب شجار ويهدده واحد من الخدم فيرد عليـه بضربة من عصاه ، وتضل الضربة طريقها ، فتصيب صاحب الموكب وتصرعه • وكان الشيخ المقتول هولايوس ملك طيبة • وعلى هذا النحو تتم جريمة قتل الأب » •

« وبفر الحرس مخافة أن يكون ثمة كمين معد فى هـذه المنطقة • أما أوديب فلا يرتاب فى شىء ويواصل سيره وفضـلا عن أنه شاب فهو ممتلىء حماسـة ، لذا سرعان ما ينسى تلك الحادثة •

وفيما هو يستريح فى الطريق ، تصل الى ما معه رواية كائن غريب يدعى أبـا الهول ، ينشر الذعر حوله ، وكان أبو الهول هذا الكائن الغريب أو « الفتاة المجنحة » أو « الكلبة التى تغنى » ، يفتك بشباب طيبة • فهو يطرح لغزا ويقتل كل الذين لا يحلونه •• وتعرض الملكة جوكاست أرملة لايوس يدها وتاجها على من يقهر هذا الوحش » •

« وكما ينطلق الفتى سيجفريد ، يسرع أوديب والفضول والطموح يفترسانه • ويتم اللقاء •• ترى ماذا حدث فى هـذا اللقـاء ؟ » •

قبل أن نعرف ماذا حدث فى الفصل الثانى يجدر بنا أن

نعود الى الفصل الأول حيث يظهر شبح لايوس لجنديين على طريق الدورية فوق أسوار طيبة فى ليلة عاصفة وسط دقات طبول وموسيقى الحى الشعبى .

يصل القائد أولا للتحقيق مع الجنديين واستطلاع أمر ظهور الشبح لهما بعد أن تفشى فى المدينة .. ولا تلبث الملكة أن تصل الى المكان يصحبها تيرزياس .. انها منهكة ، مجهدة ثائرة ، لا تنام ولا تهدأ منذ أن سمعت بأمر شبح زوجها .. لذلك تنهر تيرزياس لأنه لا يعرف سبب ظهور الشبح قائلة له : « وفى أى شىء تفيد عينك الثالثة ؟ ما الفائدة منك اذن بوصفك عرافا » ؟ كما تنهر القائد .. ولكنها تستبقى الجندى الصغير الذى يصف لها كيف كان الشبح يظهر له هو وزميله كل ليلة .

ويخاطب الشبح جوكاست وتيرزياس ولكنهما لا يسمعاه .. وعندما ينصرفان يظهر الشبح للجنديين من جديد ، فيحاول الجندى الصغيرأن يلحق بهما فيمنعه الجندى قائلا : « دع الأمراء يديرون شئونهم مع الأمراء والأشباح مع الأشباح والجنود مع الجنود » .

وينتهى الفصل الأول بهذه الحكمة ذات المغزى العميق والتى تسلمنا الى الفصل الثانى ، حيث « تتخيل رجعة فى الزمن ونعيش فى مكان آخر نفس اللحظات التى عشناها الآن معا » .

فوق تل يشرف على طيبة فى ضوء القمر خلف أنقاض معبد صغير وبين أعمدة مهدمة يتحـاور أبو الهول أونيميسيس مع ابن آوى أو آنوبيس حول القتل فيقول أبو الهول الذى يتخذ صورة فتاة « لقد ضقت ذراعا بالقتل •• ضقت ذراعا بالموت أقدمه كل ساعة » •• فيجىء رد آنوبيس قاطعا : « ولا نملك الا الطاعة • السر له أسراره • والآلهة تملك آلهتها • لنا آلهتنا ولهم آلهتهم • هذا ما يسمى باللانهاية » •

وتمر بالمكان مربيـة تصحب ابنها وابنتهـا الصغيرين •• يصطدم الابن بأبى الهول فيتوقف الركب ويدور حـوار عن « الوحش » بطبيعة الحـال •• فتنقل المربية رأى ابنها الذى يشتغل بالسياسة ومؤداه أن « أبو الهول قد مات ولكنـه يظل سلاحا بين أيدى الكهنـة وسببا يتذرع به رجـال الشرطة فى أوزارهم •• فهم يذبحون وينهبون ويرهبون الشعب ثم يحملون أبا الهول كل هذا ، ان أبا الهول يتحمل الكثير •• وبسبب أبى الهول يموت الناس جوعا وترتفع الأسـعار وتجتـاح القرى عصابات النهب ، وبسبب أبى الهول لا تسير الأمور وتتعاقب حالات الافلاس •• ثم يندد بالمذنبين وينادى بالثورة •

وبطريقـة القول المستبعد ، بينما هو الحقيقـة ، يقول الطفل لأمه وهو يشير الى أبى الهول: « أماه •• قولى هـذه

السيدة هى أبو الهول ؟ « فتعتذر الأم لأبى الهول وتتهم ابنها بالبلاهة ، ثم تصحب ركبها تاركة المكان للحدث الرئيسى .. وصول أوديب الذى يشـارك الطفل قوله المستبعد بينما هو الحقيقة قائلا لأبى الهول : « أعترف بأنى ظننتك أبا الهول » .

وتحاول نيميسيس بعد أن تخلع رداء أبا الهول آن تخلى سبيل أوديب بعد أن وقعت فى حبه ، ولكنـه يتمسك برغبتـه المحمومةفى ملاقاة « الوحش » .

أوديب : اذا قتـلت أبا الهول سأصبح الملك . والملـكة جوكاست أرملة سأتزوج منها .

أبو الهول : امرأة كان من الممكن أن تكون أمك !

أوديب : المهم الا تكون كذلك .

ولكنها تصر على انقاذه فتمنحه مفتاح الفكاك من القدر والهروب من المصـير المحتوم عنـدما تقول له : « أنت تعبد المجد » .. ولكن « أليست الطريقة المضمونة لاحباط النبوءة هى الزواج من امرأة تصغرك سنا » ؟ فيعطينا أوديب بدوره مفتاح السر كله والمأساة كلها حين يرفض فكرتهـا قائـلا : « لا ، كلا ! سأجرب حظى » .

وتختفى نيميسيس لحظة لتظهر من جديد وقد ارتدت ثياب أبا الهول .. يصعق أديب من هول المفاجأة ويتشنج من قدميه

حتى رأسه ويبدو كما لو كان يقاوم سحرا . فتطلب منه أن يستسلم ولكنـه يقاوم ، فتمطره بوابل من الكلمات الحادة المتقطعة : « لا فائدة من اغماض العينين وادارة الرأس .. لأننى لست بالغناء ولا بالنظر ، أمارس عملى ، لكنى ، أمهر من ضرير ، وأسرع من شبكة المصارعين ، وأروع من صاعقة وأصلب من حوذى وأثقل من بقرة وأعقل من تلميذ يمط لسانه بالأرقام ، اننى أكثر عدة ، وأشـد مرساة ، وأقوى شراعا وأكثر اهتزازا من سفينة وأنزه من قاض وأكثر شرها من الحشرات ، وأدمى من العصافير وأشـد ظلمة من البيضة وأكثر دهاء من سـفاكى آسيا وأكثر خداعا من القلب وأخف من يد تغش فى اللعب وأشد حتمية من النجوم وأكثر يقظة من الثعبان الذى يبلل فريسته بلعابه ، لذا ترانى أفرز وأخرج من ذاتى وأرخى ثم أكر ثم أبسط ثم ألف بحيث يكفى أن أريد هـذه العقد حتى تنعقد وأن أفكر فى شدها فتنشد أوفى ارخائها فتتراخى ، اننى رفيعة فلن تمسـك بى ورشيقة فتتصـور نفسك ضحية سم زعاف وعنيفة فتكفى حركة لبترك ومشـدودة كالوتر ، عكفـة كالبحر ، كالعمود ، كالوردة ، قوية العضـلات كالأخطبوط ، مركبة كزخارف الحلم ، غير مرئيـة بصفة خاصـة غير مرئية وعظيمـة كدورة دمـاء التماثيل ، أننى خيط يربطك بخطوط متشابكة تشيد العسـل وهو يتساقط فوق العسل » .

يصرخ أوديب فتضيق عليه الخناق وتحاصره بكلمات أقصر وأسرع : « وأتكلم وأعمل وأغزل وأبسط وأحسب وأتأمل وأجدل وأذرى وأسرد وأنسج وأشبك من جديد وأعقد وأحل ثم أعقد من جديد حافظة فى ذاكرتى أقل العقد لأرجع اليها عند حلك ، والا فمصيرك الموت • أشد وأرخى وأخطىء وأعود أدراجى وأتردد وأصحح وأتلبك ثم أخلص ثم أحل الرباط ثم أشبكه وأواصل عملى ، أضبط وألصق وأربط وأهزم وأعوق وأجمع حتى تحس أنك من أخمص قدميك الى منبت شعرك مغطى بكل أبازيم واحدة من الزواحف كلما تنفست قطعت عليك أنفاسك فتصبح مثل الذراع الخدرة التى نام عليها صاحبها •• وستطلب الرحمة فأختبرك وأسألك مثلا : ما هو الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصباح وعلى اثنتين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء •• فتبحث وتبحث •• وأخيرا أخبرك بالأمراذ أكشف لك عن اللغز •• هـذا الحيوان هو الانسان الذى يمشى على أربع عندما يكون طفلا وعلى اثنتين عندما يكون رجلا وعندما يكون هرما يمشى على قدم ثالثة هى العصا •• فتصيح قائلا •• منتهى البلاهة » •

وبالفعل يصيح قائلا « منتهى البلاهة » وذلك عندما تطرح عليه اللغز ، وعندما يردد أمامها الحل ، تسقط وقد مات فيها

أبو الهول •• ويدخل أوديب طيبة منتصرا ويتزوج من الملكة • وعلى هذا النحو يتم « الزواج المحرم » •

« وامعانا من الآلهة فى عبثها ، فانها تجعل ضحيتها تهوى من عل • فتمضى ســنوات ، فى نعيم ورفاء •• ويستحفل الأمر عندما تثمر هــذه الزيجة الدنسة البشعة ويرزقان ابنتين وولدين هــذا والشعب يحب مليكه » طوال سبعة عشر عاما هى فترة الاستراحة بين الفصل الثالث والفصل الأخير •

يتفشى الطاعون نذيرا بالنحس الذى يجثم على حظ أوديب الشهير ويتدفق على أسرته المنكوبة •• « وتتهم الآلهة مجرما مجهولا بتدنيس المدينة ، وتطالب بطرده وبعد عناء البحث ، وبعد أن يسكره الألم والشقاء ينتهى المطــاف بأوديب الى حيث لا مخرج ، تغلق عليه المنافذ ، وتتضح الحقيقة ، فتشنق جوكاست نفسها بوشاحها الأحمر ويفقــأ أوديب عينيه بمشبك الزوجــة المشنوقة الذهبى » •

ولا يعدم تيرزياس تعليقا نهائيا اذ يقول : « ان كبرياءه لا تخونه أبدا ، أراد من قبل أن يكون أسعد الناس جميعا والآن يريد أن يكون أتعسهم على الاطلاق » •

ويهيم أوديب على وجهه فى المدينة تصحبه ابنته أنتيجون ورعاية أمه المقتولة جوكاســت •• غير أن المواطنين لا يعيرونه

اهتماما ، فقد « رأوا الملك الذى أراد أوديب أن يكونه ، ولكنهم لن يروا الملك على حاله هذه » •

وكما ظهر شبح لايوس فى البداية ولكن دون أن تراه ، فان شبح جوكاست يظهر فى النهاية ولكن أوديب يسمعه ، يسمع صوتا يقول له : زوجك ماتت ، يا أوديب المسكين أنا أمك » •

كما أن الخطوات التى يعدونها معا فى النهاية « أوديب وأنتيجون وشبح جوكاست » والتى ترد على الخطوات التى كانت تعدها « جوكاست وتيرزياس والجندى الصغير » فى البداية ، تبين أن الدائرة بدرجاتها الألف قد أغلقت •

« وبعد السعادة المزيفة يعرف الملك التعاسة الحقيقية والاندثار الحقيقى الذى يجعل آخر الأمر من هذ الملك بعد أن كان ملك ورق تلعب به الآلهة القاسية « مجرد انسان » •

وهنا •• وهنا فقط •• يكف أوديب عن التصرف كبطل وكملك ويبدأ فى التصرف كانسان عادى •• مجرد انسان عادى •• ولكن الوقت يكون قد فات •

الأسطورة وروح العصر :

يقول كوكتو فى تقديمه لمسرحية « أنتيجون » هذه تجربة لتصوير بلاد الاغريق من فوق طائرة تصويرا يكشف عنها

منظرا جديدا .. هكذا حاولت ترجمة أنتيجون ترجمة اذا ما قرأت قراءة خاطفة اختفت أشياء رائعة الجمال وظهرت بدلا منها أشياء أخرى حتى تتكون لدى القارىء مجموعة لقاءات قوامها ظلال وزوايا ونتواءات غير متوقعة .. وربما كانت محاولتى وسيلة لاحياءالدور القديمة التى من فرط معايشتنا لها أصبحنا نتأملها دون وعى أو انتباه . ولكن رغم تحليقى فوق نص شهير سأجعل كل واحد يسمعه كما لو كان ذلك لأول مرة » .

وعندما يقول كوكتو ذلك عن « أنتيجون » التى كتبها سنة ١٩٢٨ انما تجىء تجربته التالية « الآلة الجهنمية » التى كتبها سنة ١٩٣٤ مصداقا لقوله وتدعيما له .

ولقد أراد كوكتو أن يوازن بين الأسطورة القديمة والحياة المعاصرة بحيث لا يظهر من الأسطورة غير جوهرها .. ففيما عدا الموضوع القديم الذى يصعب وقوعه فى العصر الحديث فان صخب المدينة وارتفاع أسعارها وثورة أبنائها وعجز السلطات أمام التهديدات الخارجية والمتمثلة هنا فى أبى الهول ، وجوكاست التى تبدو وكأنها ملكة من ملكات مجتمع المقاهى بمداعبتها لتيرزياس وغزلها للجندى الصغير الذى يذكرها بابنها المهجر فوق الجبل أو أوديب الذى ستداعبه يوما وهو زوجها .. كل

هذا لايمكن أن يكون قد حدث قديما فى طيبة ولكنه من الممكن أن يحـدث اليوم فى باريس أو لندن أو أى عاصمة متحضرة أخـرى •

ان الأحداث الأسطورية الخفيـة قد بدت أمامنا عارية ومحتومة وذلك من خلال « الصوت » وهو يعرض لها فى المقدمة وفى بداية كل فصل من فصول المسرحية الأربعة •

وهكذا يضعنا كوكتو مباشرة أمام الأحداث حتى قبل أن تقع ••وعلى هـذا فان ما يسمى « بالعقدة المسرحية » لا نعثر له على وجود حقيقى على الرغم من وجوده الفعـلى • فعنصر « التخدير التمثيلى » لدى المشاهد قد طمسه « الصوت » الذى يحل محل الكورس الاغريقى •• ذلك أن المشاهد يعرف كل شىء مقدما وان كان سرعان ما ينساه فضـلا عن اندماجه فى الأحداث من جديد شأنه فى ذلك شأن من لم يعرف شيئا على الاطـلاق •

لقد عمد كوكتو الى التخفيف من حدة الدراما والخفض من درجة حرارتها حين استعاض عن اثارة الأعصاب وقلق الترقب وشدة التوتر والمفاجآت الرخيصة بالمـادة السخية الرفيعة •

وكذلك فعل كريستيان بيرار الذى وفق توفيقا مطلقا فى

تصميم ديكورات العرض الأول على مسرح لوى ـ جوفيه فى العاشر من ابريل سنة ١٩٣٤ •

ومرة أخرى قدمت المسرحية باخراج جديد وديكور جديد وأداء جديد تحت قيادة جان ـ ماريه فنجحت نجاحا لا يقل عن النجـــاح الأول •• ثم قـــدمت المسرحيـــة فى التليفزيون الفرنسى •• وبعد ذلك انتشرت على مسارح أمريكا وانجلترا وألمـــانيا وتشيكوسلوفاكيا باخراج مختلف وديكور مغاير وأداء متميز •

أما ديكور بيرار فقد صمم على هيئـــة « مهد » تطوقه السماء وتتطاير حوله ستائر أرجوانية •• بينما فراش العرس الحرام يبدو ككومة من الحطب المعد لاحراق مجرم أو كمذبح مقدس للفداء تلفه اضاءة ليلية متوهجة ، زرقـــاء ضاربـــة فى السواد وكأنها نار الحريق الذى يندفـــع اليه أبطـــال العائلة الجهنميـــة •

أوديب هى النموذج :

أن مأساة أوديب مثال فريد للمسرحية •• انها « مأســـاة شديدة العمق ، رائعة الجمـــال » كما يقول فرنسيس فرجون الذى وضعها ممثلة فى مسرحيتى « أوديب الملك » لسوفوكليس و « الآلة الجهنمية » لكوكتو فى كتابه القيم « فكرة المسرح »

على رأس عشر مسرحيات هى بالاضافة الى المسرحيتين السابقتين: « بيرينيس » لراسين و « تريستان وايزولدة » لفاجنر و « هاملت » لشكسبير و « بستان الكرز » لتشيكوف و « الأشباح » لابسن و « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » لبيراندللو و « نوح » لاوبى و « جريمة قتل فى الكاتدرائية » لاليوت .

ولان « مأساة آوديب » تكاد تكون الموضوع الوحيد الذى يخدم « فكرة المسرح » كفن عريق فان تكالب كتاب المسرح عليها عبر الأجيال وبمختلف اللغات لا يصبح آمرا غريبا ولا مستغربا .. كذلك لا يصبح غريبا ولا مستغربا تكالب علماء النفس والمؤرخين والأخلاقيين على بحثها وتفسيرها وتحليلها .

ففى عالم المسرح الدرامى كتب روبير جارنييه « أنتيجون أو الايمان » سنة ١٥٨٠ وكتب كورنيى «أوديب» سنة ١٦٥٩ .. وكتب راسين « طيبايد » سنة ١٦٧٦ .. وكتب فولتير «أوديب» سنة ١٧١٨ وكتب جيد « آوديب » سنة ١٩٣٢ .. وكلهم من فرنسا ، كما كتب توفيق الحكيم من مصر مسرحية « أوديب » سنة ١٩٤٩ .. هذا فضلا عن اسخيلوس وسينيك وسوفوكليس وكوكتو .

وفى عالم المسرح الموسيقى وضع لوبالاديو أوبرا « آوديب » سنة ١٥٨٥ .. ووضع أندريا جابرييلى أوبر

« أوديب » سنة ١٩٦٨ •• وهما من ايطاليا ، كما وضع سترافنسكى من روسيا أوبر « أوديب ملكا » سنة ١٩٢٧ •

وفى عالم السينما كان آخر ما قدم عن « مأساة أوديب » فيلم من اخراج الايطالى بيير باولو بازولينى ، صورت مناظره فى جنوب المغرب وعرض لاول مرة فى مهرجان فينيسيا عام ١٩٦٧ وقام بدور أوديب فرانكوسيتى وبدور جوكاست سيلفانا مانجانو •

أما فى مجال التفسير والتحليل فنقتصر هنا على الاشارة الى نظرية فرويد المسماة « عقدة أوديب » •• وهى تمثل الرجوع الى رحم الام ، فعمى أوديب يمثل باعمق معانيه رجوعا حقيقيا الى ظلمة رحم الام ، واختفاء أوديب النهائى وراء صخرة فى العالم السفلى يعبر مرة اخرى عن نفس الرغبة المتجهة نحو العودة الى الارض الأم • ان الانسان ، كما يقول صمويل بيكيت ، يخرج من ظلمة الرحم الى ظلمة القبر مارا بظلمة الحياة » •

« ان البحث عن أى مغزى أخلاقى فى العمل الفنى من شأنه القضاء على الفن والأخلاق جميعا » •

ولكن كوكتو برغم ذلك يرمى الى التعبير عن ثورة النفس البشرية على خطر الآلية وبشاعة المادية لأنها النكبات الحقيقية

التى تحل بالانسان •• ففى الحضـــارة الحديثة قدر الانسان ومصيره ، فيها يحس بأنه لا يزيد فى كثير أو قليل عن ترس فى آلة •

فكيف تحولت شخصـــيا كوكتو الى تروس فى « الآلـــة الجهنميـــة » ؟

لعل تغافل جوكاست الثقب الذى رآته فى قدمى أوديب ليلة عرسهما المدنس وسعيها نحو اتمام هـــذا الزواج البشع بارادة مخيفة كفيل بأن يحولها الى ترس كبير فى « الآلة الجهنمية » •

ولعل معرفة تيرزياس بكل شىء مقدما دون أدنى محـــاولة منه لمنع الكوارث قبل وقوعها ، كما تؤكد ذلك عبارة جوكاست التى تواجهـــه بها : « دائما تعطل الانطـــلاق وتمنع دائمـــا وقوع المعجزات •• ولسوف تحدث مصائب وكوارث رهيبـــة وعندئذ ســـتكون غلطتـــك ككل مرة •• » وكذلك اصراره فى النهاية على منع كريون من التصـــدى لاحدى هـــذه الكوارث كفيـــل بأن يحوله هو الآخر الى ترس كبير فى نفس « الآلـــة الجهنمية » •

ثم آنوبيس الذى يمنع أبا الهول من كشف الحقيقة لأوديب وأبو الهول نفسه الذى برضخ لتحذيرات آنوبيس من كشف الحقيقة كلاهما ترس ولاشـــك قوى فى تلك الآلة •

وشبح لايوس الذى يظهر للجنديين دون القائــد والملكة وكبير الكهنــة ، ولكنه لايتمكن من توصــيل تحــذيراته حتى للجنديين ، يتحول هو الآخر وان كان بالرغم منه الى ترس سلبى فى هذه الآلة الايجابية .

ومن هنا كانت المسرحية فى صميمها ادانة للعصر الحديث كله تحت غطاء أسطورة قديمة وصرخة احتجاج على الآلة تحت غطاء الآلهة والأقدار .. وهــذا ما عبر عنه كوكتو حين توجه الى المتفرج قائلا : « شاهــد أيها المتفرج آلة من أدق الآلات تصميما ضبطت بحيث تدور حركتها متصلة بطيئة طوال حيــاة انسانية معينة وقد صنعتها الآلهة الجهنمية لتحطم بها وبطريقة رياضية بحتة واحدا من بنى الانسان » .

الانسان الذى يقف أمام أبى الهول يتلقى السؤال وليس له أن يحــاول فهم كلماته أو كلمات اللغز الذى يطرح عليه .. فليس هنــاك سوى جواب واحد ممكن .. جواب واحد لكل شىء : الانسان .

وفى مقابل آلية هذا الانسان تتبدد ارادته القوية .. ولكنها ارادة الاندفاع نحو الهلاك دائما .. فالجندى الصغير يريد أن يسجل اســمه بين « الذاهبين الى أبى الهول » ، ليموت بين يديه .. وأبو الهول يتعمد حل اللغز أمام أوديب لتموت فيه آلة

الهلاك .. وأوديب ينتزع اعترافا من تيرزياس يكشف عن الحقيقة التى تسلمه الى الشقاء الأبدى .

ذلك الشقاء المكتوب على جبين الانسان منذ الأزل والذى يتهدده على امتداد الحياة ، وقد رمز له كوكتو بالوشاح والمشبك اللذين يترددان كاللحن الدال منذ بداية المسرحية ، الأول تشنق به الأم نفسها والثانى يفقأ به الابن عينيه .. ثم تلك العبارات « فوق الطبيعية » التى تبرز بالرمز الفكرة المثيولوجية نفسها أو فكرة « القدر والمكتوب » ، تقول جوكاست لأوديب: « أتريد أن أخرج هذا المهد ؟ » أوديب : (دون أن يدرى أنه مهده) سيكون مهد حظى .

جوكاست : (وهى تحاول حمله) يا لك من طفل كبير لا تثقل نفسك ، ساعدنى .

أوديب : (دونأن يدرى أنها الحقيقة) حاضر ، يا أمى الصغيرة العزيزة .

جوكاست : (دون أن تدرى انه ابنها فى الحقيقة) يا له من طفل ها هو ذا يعتبرنى أمه .

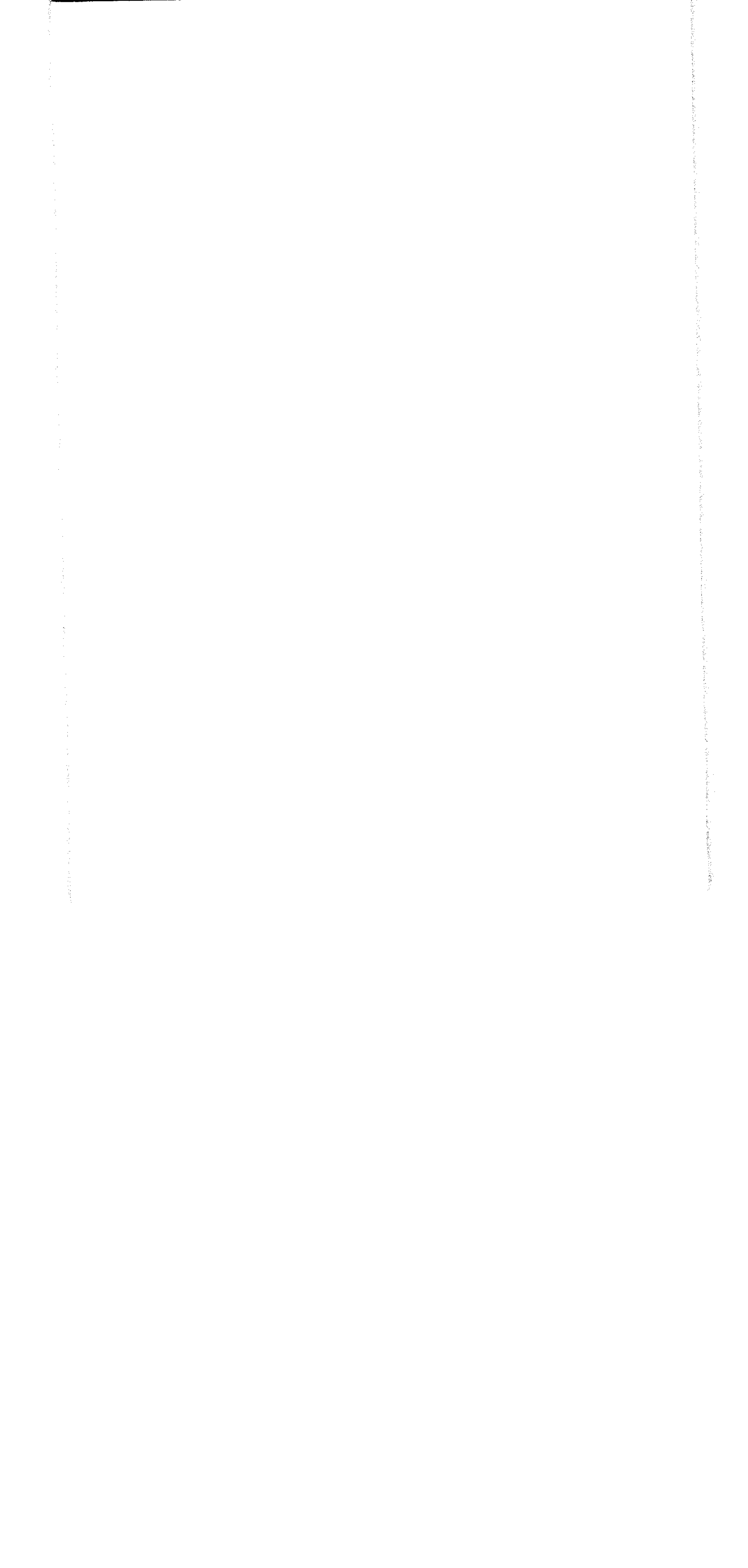
أوديب : كلما كنت أبتعد عن مدينتى وأقترب من مدينتك كان يخيل الى أنى أقترب من بيتى .

لكن أوديب لم يكن يدرى أنه جاء الى بيته بالفعل .. جاء ليكمل فصول الكارثة المروعة ويضع نهاية لتلك « المأساة الرائعة » كما وصفها تيرزياس فى ختام المسرحية .

أما فى بداية المسرحية فتقول جوكاست : « لو كان لى ابن، لكان جميلا شجاعا لحل اللغز وقتل الوحش وعاد منتصرا » وهى لا تدرى أن ابنها لايزال حيا وأنه سيقتل أبا الهول ويتزوج منها بالطريقة التى تذكرها على أنها دعابة فتقول : « كل الأطفال الصغار يقولون أريد أن أصبح رجلا لأتزوج من أمى » .

ثم نلحظ التركيز على «الأشياء» التى تؤثر فى حياة «البشر» بل وتؤثر كذلك فى « الخط الدرامى كله » .. فجوكاست تتحدث عن مشبكها الذهبى قائلة : « هذا المشبك الذى يفقأ عين الجميع » ، والواقع أنه سيفقأ عينى أوديب وحده .. ثم تصرخ فى وجه تيرزياس قائلة : « قدمك فوق ذيل الوشاح » . كدت تخنق الملكة » ، وتعود فتعتذر له قائلة : « ولكن لست ناقمة عليك أنت .. بل على هذا الوشاح انى محاطة بأشياء كثيرة تكرهنى طوال اليوم وهذا الوشاح يخنقنى ، مرة يعلق بالأغصان ومرة أخرى يلتف حول عجلة العربة وأخيرا تسير أنت عليه ، انه أمر مقصود .. أصبحت أخاف منه ولا أجرؤ على التخلى عنه .. هذا مخيف مخيف ، سيقتلنى . « وبالفعل يقتل الوشاح جوكاست عندما تخنق به نفسها قبيل النهاية .

ولعله قد اتضح ، فى النهايـة ، أن مسرحيـة « الآلهـة الجهنمية » هى متعة حقيقية لا تعد لها متعة ومأساة متكاملة تكمل « أنتيجون » ، أو ان أردنا دقة التعبير قصيدة دراميـة تتغنى بالارادة الحرة لدى الانسان فى مواجهة اله قديم اسمه « القدر » واله جديد اسمه « الحظ » !



أنتيجـون

مسرحية : جان كوكتو



● أنتيجـون

● كوكتـــو

أنتيجون : ايسمن •• اختاه •• أتعرفين كارثة واحدة ضن بها جوبيتر علينا •• على نسل أوديب ؟ حسنا •• سأخبرك بكارثـة أخرى •• خمنى العـار الذى يعده لنـا أعداؤنا •

ايسمن : لن أخمن •• منذتقاتل أخوانا ومنذ اختفى أهـل أرجوس وأنـا لا أرى شـيئا يستطيع أن يجعلنى أكثر بؤسا أو أكثر سعادة •

أنتيجون : اصغى الى •• لقد جعلتك تخرجـين من الممر كى لا يسمعنا أحد •

ايسمن : ما الخبر •• عيناك تبعثان الرعب فى قلبى •

أنتيجون : تسألينني ما الخبر ؟ هيه •• ألم يأمر كريون بدفن واحد من أخوينا ورفض دفن الآخر ؟ سيلقى أتيوكل مراسم الدفن التى يستحقها •• أما بولينيس فقد حرم

دفنه أو بكائه •• وان تترك جثتــه للغربان •• تلك هى الأوامر التى يعلنها النبيل كريون لك ولى •• نعم لى •• ســوف يأتى بنفسه الى هذا المكان ليقرأ علينا مرسومه •• انه يعلق أهميــة كبرى على تنفيذ مرســومه وأوامره ومن يخالفهــا يرجمه النــاس بالحجارة •• هذا كل ما فى الأمر •• آمل أنك سوف تظهرين معدنك الأصيل •

ايسمن : لكن ماذا عسانى أستطيع ؟

أنتيجون : قررى ما اذا كنت تعاونيننى •

ايسمن : فى مــاذا ؟

أنتيجون : فى حمل الجثمان •

ايسمن : تريدين دفنه رغما عن الملك ؟

أنتيجون : نعم سأدفن أخى وأخاك •• أقول أخاك •• ولن يقول انسان انى تركته نهبا للوحوش •

ايسمن : أيتها البائسة •• رغم تحذير كريون ؟

أنتيجون : هل له الحق اذن فى أن يفصلنى عن أسرتى ؟

ايسمن : أنتيجون •• أنتيجون •• ان أبانا المسكين قد مات فى الوحل بعد أن فقــأ عينيه ليكفر عن جرائمــه

وأمنا .. التى كانت أمه .. شنقت نفسها .. وتقاتل أخوانا .. تصورى النهاية المشئومة التى تنتظرنا نحن الاثنتين الوحيدتين .. لو أننا تحدينا ارادة سادتنا . نحن نساء يا أنتيجون .. نساء لا تعرف كيف تقهر الرجال .. الذين يحكمون أقوى منا .. فليسامحنى بولينيس .. ولكنى أرضخ .. سأذعن للسلطة .. فمن الجنون أن يحاول المرء ما ليس فى طاقته .

أنتيجون : لن أجبرك . انك ان عاونتينى فستعاونينى مكرهه .. افعلى ما يحلو لك أما أنـا فسأقوم بدفنه وسيحلو لى بعد ذلك أن الاقى الموت .. فسيرقد صديقان جنبا الى جنب بعد هذه الجريمة العزيزة لأن الوقت الذى ينبغى على أن أرضى فيه الموتى يا ايسمن أعظم من الوقت الذى ينبغى على أن أرضى فيه الاحياء .. سلوكك يخصك .. احتقرى الالهة .

ايسمن : أنـا لا أحتقرها .. انى أشعر بعجزى عن الكفاح ضد مدينة بأكملها .

أنتيجون : انتحلى الاعذار .. أنـا سأعد له المقبرة .

ايسمن : يا لك من مجنونة .. انى أرتعد من أجلك .

أنتيجون : دعينى وشأنى .. فكرى فى نفسك وحسب .

ايسمن : على الأقل لا تفصحى لأحد عن هـذا المشروع .. أخفيه كما سأخفيه أنـا .

أنتيجون : لا تخفى شـيئا .. فانى لا أرغب فى تكتمك قدر ما أرغب فى انصاحك .

ايسمن : رطبى من حرارة هذا القلب المتوهج .

أنتيجون : لن أفعل .. أعرف انى أرضى حيث ينبغى على أن أرضى .

ايسمن : حقا .. اذا كان كل شيء على ما يرام .. لكنـك تحاولين المستحيل .

أنتيجون : سأتوقف عند قصارى جهدى .

ايسمن : علام العدو خلف الريح ؟

أنتيجون : اذا تمسـكت بموقفـك .. ستصبحين بغيضة الى نفسى .. وستثيرين كراهية الميت .. اتركينى وحدى مع مشروعى .. فاذا فشل مت عندئذ مليئة بالفخار .

ايسمن : (تصعد الدرج الأيمن) حسنا .. اذهبى اذن أيتها المجازفة .. ان عاطفتك تلقى بك فى التهلكة .

(تخرج .. تبقى أنتيجون وحدها .. تستعد لليوم كله .. تختفى من الكواليس الأيمن) .

الجوقة : لقد فر أهل أرجوس مسرعين تحت بصرك المجنون أيتها الشمس .. كانوا قد جاءوا على آثر بولينيس ومطالبه الواهية .. ان جوبيتر يكره الغرور .. لقد ضرب بصاعقة روح الكبرياء ودروعه .. أما القواد السبعة الذين كانوا يتجهون ناحيـة أبوابنا السبعة فقد تركوا أسلحتهم ولم يبق فى المكان الا أخوان عدوان .. والآن تربع النصر فى طيبة .. والشعب يغنى .. لكن ها هو كريون مليكنا الجديد .

كريون : (على باب اليسار) .. أيهـا المواطنون .. لقد أنقذت الالهة هـذه المدينـة من الغرق .. وقـد جمعتكم جميعا وأنـا أعلم احترامكم لبيت لايوس.. واخلاصكم لأوديب وأبنائه .. لقد تقاتل الأبنـاء وانتقلت السلطة كلها بين يدى .. وقبل أن يثبت المرء وجوده يصبح من الصعب معرفته .. بالنسبة لى .. فانى ألوم من يحكم دون مشورة المحيطين به .. وألوم أيضا الرئيس الذى يضحى بالمجموع فى سبيل فرد واحد .. لن أتملق خصمى مطلقا .. فالأمير العادل لا يعدم صداقة أحد .. تلك هى مبادئى .. من أجل هذا أمليت المرســوم الخـاص بأبناء أوديب .. اتيوكل جندى فلنكرمه أما بولينيس فقد عاد من المنفى ليحرقنا .. ليهيننا .. ليحولنا الى

رقيق .. لذا أحرم تكريمه .. وأمر أن تصبح جثته نهبا للكلاب والغربان .. أنا لا أخلط أبدا بين الفضيلة والجريمة .. لقد قلت .

الجوقة : أحسنت يا كريون .. لك حرية التصرف فى الموتى وفينا .

كريون : نفذن أمرى .

الجوقة : كلف الشباب بتنفيذه .

كريون : ان حراسا يراقبون الجثة .

الجوقة : اذن ماذا يجب علينا أن نفعل ؟

كريون : يجب أن تكن ذا صلابة ازاء عصيان القوانين .

الجوقة : لا يوجد شخص بهذا القدر من الجنون حتى يبحث عن الموت .

كريون : سيكون الموت جزاءه .. لكن الأمل فى الحصول على المال غالبا ما يجعل الناس يفقدون صوابهم .

حارس : (يدخل .. يركع ويتكلم) .. أيها الأمير .. لا أستطيع القول بأنى أطير نحوك .. هذا لا .. لقد توقفت كثيرا فى الطريق .. كنت افكر . لا تذهب .. لا تذهب .. لكن من ناحية أخرى اذا

علم كريون من أحد فأنت تخـاطر أكثر •• الطريق
قصير •• لكن الطريق كان طويلا •• باختصار ••
باختصار •• ليس عندى شىء حسن أخبرك به •

كريون : ما الذى يربكك ؟

الحارس : سأقول أولا الذى يخصنى •• لست أنـا •• ليست
غلطتى ولا أعرف من هو •• ستكون غير عادل فى
معاقبتى •

كريون : انت تعقد الأمور من حولى •• تبدو لى وكأنـك
تزجى ببطء خبرا مؤسفا •

الحارس : الهول بقطع الأذرع والأرجل •

كريون : تكلم •• وبعد ذلك سوف تذهب •

الحارس : اذن •• أتكلم •• لقد مجدوا الميت •

كريون : هيه ؟ من الذى واتته الشجاعة اذن ••

الحارس : لم ير •• ولم يعرف •• ولم يكتشف ضربات فأس••
ولا ضربات معول •• ولا آثار أقدام •• ولا علامات
عربة •• لا شىء يكشف عن المجرم •• ففى الصباح
الباكر كان الجسد قد اختفى تحت طبقة من الثرى

بالقدر الذى يجنب انتهاك الحرمات..بالطبع كان كل منا يلوم نفسه ويثور .. وكنا سنتضارب .. كل المنطقة كان مشكوكا فيها ولا يوجد اثبات ضد أحد .. لقد أقسمنا على أن نسير دون خوف فوق الجمر .. وعلى أن نمسك بقطعة من الحديد المتوهج فى ملء أيدينا حتى يظهر المجرمون والمشتركون فى الجرم .. وفى النهاية تقرر ان يقال لك كل شىء .. فسحبت القرعة وكنت أنا كبش الفداء .

الجوقة : أيها الأمير .. انا تتسائل ان لم تكن هذه هى ارادة الآلهة .

كريون : كفى سخفا .. أيتها الهرمات ، الآلهة لا تدفن حارقى المعابد وهادمى العبادة وناهبى الهبات هل رأيتن الآلهة أبدا تتملق الشر ؟ لا وألف مرة لا .. لكن هذا العمل يفتح عينى .. كنت أعلم .. كنت أعلم من قبل أن خونة فى هذه البلاد يتذمرون ضد نيرى .. وان خونة يثورون خفية .. انهم يدفعون للمجرمين .. لقد ابتكر البشر المال .. المال .. المال الخسيس .. المال يخرب المدن .. ويحول القلوب المستقيمة .. ويفسد كل شىء ..

هؤلاء الذين أفسدهم المـال فدفنوا بولينيس ..
حفروا قبورهم بأيديهم .. اذا لم تحضروهم لى ..
سأشنقكم حتى يساقوا الى .

الحارس : على أى حال لست مذنبا .

كريون : لن يدهشنى هـذا أيها الرجـل الشـجاع .. انك
انسان تباع بقليل من المـال .

الحارس : من المحزن أن يخطىء أمير عادل هكذا .

كريون : انه يحكم على .. ماذا بعد ذلك .

الحارس : يمكننا اكتشاف المجرمين .

(يخرج .. كذلك يخرج كريون)

الجوقة : الانسان لا يوجد مثله .. الانسان يجوب البحار..
الانسـان يحـرث الأرض .. الانسـان يطـارد
الحيوانات .. الانسان يصطاد الأسماك .. يكبح
جماح الخيل..يفكر .. يتكلم..يبتكر القوانين ..
يستدفىء ويغطى منزله .. يتخلص من الامراض ..
الموت هو المرض الوحيـد الذى لا يشفى منه ..
يفعل الخير والشر .. يكون رجلا صالحا اذا استمع
لقوانين السماء والأرض .. لكنه لا يكون صالحا

اذا لم يستمع اليها مطلقا .. ليت المجرم لا يكون ضسفنا أبدا .. أيتها الالهة يا لها من أعجوبة غريبة.. انها غير معقولة ولكنهـا حقيقـة .. أليس كذلك يا أنتيجون ؟ أنتيجون .. أنتيجون .. أكان لك أن تعصى ؟ أكان لك أن تكونى مجنونة الى هذا الحد حتى تهلكين نفسك .

(من كواليس اليمين ترى أنتيجون تدخل أولا ، يد الحارس فوق كتفها ، ثم الحارس يدفعها)

الحارس : قبض عليها متلبسة .. أين كريون ؟

الجوقة : ها هو يخرج .

كريون : ماذا يحدث ؟

الحارس : أيها الأمير .. أعادنى الحظ الى حيث لم أكن أعتقد انى سأضع قدمى .. استجوب هذه الفتاة .. انها مذنبـة .

كريون : أين وكيف قبضت عليها ؟

الحارس : كانت تدفن الجثة . قبضت عليها ويدها فى الحقيبة .

كريون : هل تقسم على هذا ؟

الحارس : نعم .. اقسم على هذا .. كانت تدفن الرجل .

كريون : اعطنى تفصيلات .

الحارس : خشيت تهديداتك .. رفعنا الرمل عن الجثة وتركناها عارية تماما على الأرض ، بعد ذلك جلسنا على رابية معرضة للهواء هربا من الرائحة .. ثم قمنا بدعابات حتى لا ينام أحد .. وفجأة فى الظهيرة تهب عاصفة رملية تطيح بفروع الأشجار .. وتفقأ عيوننا .. بعد ضرب الريح هذا رأينا الفتاة تقف بجانب الجثة .. كانت تصرخ بكل قواها .. غطتها بالثرى وأخرجت اناء من تحت ثوبها وبدأت تسكب منه .. قفزنا وأوقفناها بقبضة يد .. واستجوبناها واعترفت دون أدنى مقاومة .. آسف لابدال حياة بأخرى .. لكن المذنبين هم المذنبون .. وسيدة أليس كذلك ؟ من الطبيعى أن أنقذ جلدى أولا .

كريون : وانت .. انت ؟ بعينيك المسبلتين تنكرين ؟ تعترفين ؟

أنتيجون : لقد فعلتها .. انى أعلنها .

كريون : (للحارس) اذهب مسرعا وعلق نفسك فى مكان آخر .. لك حريتك

(لأنتيجون) هل كنت تعرفين تحريمى ؟

أنتيجون : نعم .. لقد كان علنا .

كريون : وتجاسرت على مجاوزته ؟

أنتيجون : لا لم يكن جوبيتر يعلن مثـل هـذا التحريم .. لا ولم تفرض العدالة قوانين من هـذا النوع .. ولم أكن أعتقد أن مرسومك استطاع أن يجعل نزوة رجل تفوز على قاعدة الخالدين .. تفوز على هـذه القوانين التى لم تكتب .. والتى لا يمحوها شيء انها لم تخلق لا من اليوم ولا من الأمس بل هى من الأبد ولا يعرف أحد تاريخها .. هل يجب على اذن خوفا من خاطرة رجـل عصيان الهتى ؟ كنت أعرف أن الموت فى نهاية فعلتى .. سوف أموت شابة .. حسن .. الشـقاء عندى كان فى ترك أخى بلا قبر والباقى عندى سيان .. والآن اذا اعتبرتنى مجنونة تستطيع أن تكون مجنونا كذلك .

الجوقة : من هـذه الصلابة الطبيعية تعرف ابنة أوديب ، انها تتمسك بالشقاء .

كريون : لكنى أعلن ان هـذه النفوس الصلبة الى هذا الحد تكون أقل قوة .. ان الحديد الأكثر صلابة هو الذى ينكسر .. شكيمة صغيرة تهدىء جوادا أغبر .. هذا

كثير من الكبرياء بالنسبة لأسيرة واضح انها تهينني
عن عمد • تسخر مني وتتباهى بذلك •• انها هى التى
ستكون الرجل اذا تركتها تفعل •• مع انى أخو
جوكاست لا هى ولا شقيقتها ستتجنبان مصيرهما
التعس •• لأن اسمين يجب أن تكون شريكة فى
الجرم انى افترض •• ليؤتى بها الى••لقد لمحتها منذ
قليل فى القصر مذعورة كخفاش •• النفوس السوداء
تغدر بسرعة •• لكن ما احتقره هنا خاصة هو المجرم
الذى يقبض عليه متلبسا •• ومع ذلك يندمج فى
تنسيق جريمته •

أنتيجون : هل تطلب شيئا أكثر من موتى ؟

كريون : لا •• (أنتيجون وكريون يتكلمان وجبهتاهما متلامستان)

أنتيجون : اذن لماذا تتوانى ؟ انت تسأمنى وأنا أسأمك ••
كل هذا الجمع كان سيصفق لولا الخوف الذى يشل
اللسان •• ان الاستبداد بالاضافة الى ألف امتياز
آخر يتيح له أن يقول ويسمع ما يريد •

كريون : أنت الوحيدة فى طيبة التى تفكر خطأ •

أنتيجون : اذن كلهم يفكرون خطـأ .. لكنهم يسـكتون فى حضرتك .

كريون : ألست خجلى ؟

أنتيجون : خجلى من تمجيد أخى ؟

كريون : وأخوك اتيوكل ألم يكن أيضا أخاك ؟ اتيوكل مات عندنـا .

أنتيجون : كنا من الأب والأم نفسيهما .

كريون : لمـاذا تقومين اذن بتمجيده تمجيدا غير وطنى ؟

أنتيجون : ما هكذا وضع الميت فى قضيتى .

كريون : ماذا ؟ أتخدمين الخائن ؟

أنتيجون : لقد مات ليس كعدو له ولكن كأخيه .

كريون : كان قـد جاء يهاجم وطنه .. أما الآخر فقـد كان يدافع عنه .

أنتيجون : الموت يريد قانونا واحدا للجميع .

كريون : لكن المهاجم والمهاجم لا يجب أن يعاملا بالمثل .

أنتيجون : من يعلم اذا كان لحدودك معنى عند الموتى ؟

كريون : العدو الميت لا يصبح صديقا أبدا ؟

أنتيجون : ولدت لاقسم الحب وليس الكراهية .

كريون : انزلى اذن عند الموتى .. احبى من يروق لك ..
لكن فى حياتى لن تسن القوانين امرأة أبدا .

الجوقة : ها هى المسكينة اسمين تبكى .. الأسى يشوهها
ويبلل خديها .

كريون : آه .. ها أنت ذى أيتها الحية .. هيا تكلمى تعرفين
أو لا تعرفين خائن الملك ؟

اسمين : اذا اعترفت أختى اعترفت .. وطلبت تحمل النتائج .

أنتيجون : الحكمة تمنعك من هذا ، فأنت لم تتبعينى وقد
فعلتها وحدى .

اسمين : أنت بائسة أريد أن أتبعك .

أنتيجون : متأخرا جدا يا اسمين .. متأخرا جدا .. الجحيم
والذين يسكنونه شاهدونى أفعل .. أنا قليلا
ما تهمنى أخت تحبنى بالقول .

اسمين : آنتيجون .. لا تسلبى منى شرف الموت معك ..
شرف دفن شقيقنا .

أنتيجون : لا تموتين معى ولا تتباهى يا صغيرتى يكفى أن
أموت أنا .

اسـمين : بدونك .. كيف أستطيع أن أحب الحياة ؟

أنتيجون : اسألى كريون .. ألست لعبته المطيعة ؟

اسـمين : لمـاذا تجرحيننى بسخرية ؟

أنتيجون : اضحك عليك ضحـكة ليست شنيعة .. لا أسخر الا وأضر بنفسى .

اسـمين : كيف أخدمك ؟

أنتيجون : انقذى أيامك .. لا أحسدك على هذه الفرصة .

اسـمين : اتتركينى أتقاسم نصيبك ؟

أنتيجون : لقد اخترت الحياة بينما اخترت أنـا الموت .

اسـمين : كنت قد نصحتك كثيرا .

أنتيجون : كانت نصائحك طيبة .. وجدت قرارى أفضل .

اسـمين : خطؤك هو خطؤنا معا .

أنتيجون : اطمئنى سوف تعيشين .. لقد مات قلبى منذ زمن بعيد ولا يستطيع أن يخدم الا الموتى .

كريون : هاتان الفتاتان مجنونتان تماما .

اسـمين : لاقينا ما يدعو لفقدان العقل .

كريون : هذا ما يحدث لك عندما تحاولين أن تتقاسمى باصرار عقاب المجرمين •

اسمين : بدون أنتيجون كيف تريد لى أن أعيش ؟

كريون : لا تتكلمى عنها مطلقا فقد ماتت •

اسمين : سوف تقتل خطيبة ابنك •

كريون : سوف يجد خطيبة أخرى •

اسمين : انه الزواج الوحيد الذى يريده •

كريون : لا أقبل زوجة ابن شريرة •

أنتيجون : أواه •• هيمون العزيز كيف يعاملك أبواك •

كريون : تبدأين فى مضايقتى أنت وعرسك •

الجوقة : هل تستطيع أن تحرم ابنك من الفتاة التى يحبها ؟

كريون : الموت هو الذى سيفسخ الزواج •

اسمين : موتها اذن أكيد ؟

كريون : مؤكد •• كان وقتنا ضائعا •• أيها الحراس اقبضوا على هاتين السيدتين •• ان اشجع الناس يهربون عندما يأتى الموت •

(يخرجون)

الجوقة : سعداء هم الأبرياء ، لقد حط الهلاك على هذه العائلة •• فى بيت اللبداسيدين أرى مصائب جديدة تتكدس على الشيوخ •• يطاردهم الاله دون توقف • جوبيتر الا تغفل أبدا •• أبدى الشباب تسكن الأولمب •• لكن الجنس البشرى لايمكن أن يتمتع بسلام لا تشوبه شائبة •• ولا يتحاشى أى نكبة لانه اذا قادنا اله الى هلاكنا فانه يغير مكانى الخير والشر •• لكن ها هو هيمون ترى هل جاء شاكيا •

كريون : يابنى انك تعلم الجريمة والعقاب •• جئت الينا عاصيا ؟ أم نحن اعزاء عليك لازلنا ؟

هيمون : انى انحنى •• انه ليس بزواج هذا الذى يقف ضد نصائحك الحكيمة •

كريون : حسنا قلت •• الابن ينبغى أن يطيع •• فيما يفيد الأبناء ؟ فى أن يحبوا أصدقاءنا وان يلحقوا بأعدائنا كل الشر الذى يستحقونه •• ان الانسان ليهلك بين ذراعى زوجة مشينة •• اترك اذن هذه الفتاة تتزوج من شخص آخر فى الجحيم •• انها تتكلم عن قوانين جوبيتر •• عن قوانين الدم •• قف ••

اذا احتملت ثورة اقربائى فماذا انتظر من أهل طيبة ؟
قاس على الجميع ٠٠ غير قاس على أحد ٠٠ أنا لا أتملق
من هو ضد الحكم ٠٠ لا يوجد داء أخطر من
الديكتاتورية ٠٠ انها تخرب المدن وتطمس العائلات
وتبيد الجنود فاذا كان الدكتاتور امرأة هنا تكون
الكارثة ٠٠ من الأفضل التخلى لرجل ٠٠ فلن يقال
انى تركت نفسى تقودنى النساء ٠

الجوقة : اذا لم يكن الهرم يربك عقولنا تماما ، فانه يبدو لنا
أيها الملك انك تفصح عن نفسك بحكمة بالغة ٠

هيمون : انت حكيم يا أبى ٠٠ لكن أى انسان آخر يستطيع
أيضا أن يكون حكيما ٠٠ جلست لأسمع ما يقوله
كل واحد عنك ٠٠ انك ترعب الشعب ٠٠ انه يجتر
الكلمات التى تمنعها من الخروج ٠٠ أنا سمعتها ٠٠
فأنا أطوف بكل مكان افاجىء المؤتمرين ٠٠ أعرف
كيف تحكم طيبة على حالة هذه الفتاة النبيلة
المجيدة التى تدينها ٠٠ ماذا ؟ تقتل لأنها دفنت
أخاها ٠٠ انها تستحق أن تكافأ ٠٠ هذا هو الرأى
العام ٠٠ أما أنا فحكمك هو الذى احترمه أكثر
لا تصر اذن على الاعتقاد يا أبى بأنك دائما على

حق .. فالذى يتصور أنه هو وحده الذى يملك البلاغة والحكمة والقوة..انما يعرض نفسه للسخرية فالذكاء يسمح بأن يناقض الانسان نفسه .. والربان الذى يمسك شراعه المتصلب بغضب شديد ينقلب بسرعة .. اخفض شراعك .. هدىء نفسـك .. صدقنى أنـا حديث السن لكنى أعـلم انى ادافع عن قضية عادلة جدا .

الجوقة : أيها الملك .. اذا كان على حق .. فاستمع اليه .. واذا كان مخطئا فليستمع هو اليك .. القضية من ناحية وأخرى فى يد عادلة .

كريون : ماذا ؟ نتعلم الحكمة والعدالة من فتى صغير ؟

هيمون : مازلت غير عادل ؟ السن لا يحتسب .. لا تنظر الى سنى انظر الى أعمالى .

كريون : التصرف السليم اذن هو مدح المستبدين .

هيمون : أنـا لا أعرف الثناء على الأشرار .

كريون : وهذه المرأة ليست شريرة ؟ أليست مريضة بالشر ؟

هيمون : ليس هذا رأى عامة الناس .

كريون : عظيم .. العامة سوف يرشدوننى الى طريقى .

هيمون : بدأت تتحدث حديث شاب .. انك تجيده .

كريون : هل يجب على أن أوجه هذه المدينة الى اتجاه غير اتجاه حياتى ؟

هيمون : لا توجد مدينة قد خلقت لرجل واحد .

كريون : المدينة زوجة شرعية لرئيسها .

هيمون : اسكن مدينة صحراوية اذا أردت أن تحكم بمفردك.

كريون : يبدو عليه انه يتخذ موقفا لصالح الفتاة .

هيمون : اذن ها أنت فتاة .. لانه انت الذى اهتم به أكثر .

كريون : أيها الوغد أتسب أباك ؟

هيمون : هذا لأنى أرى أن أبى ظالما .

كريون : تعتبر ظلما أن أتمسك بامتيازاتى .

هيمون : امتيازاتك .. انك تدوس ارادة الالهة .

كريون : قلب رخو .. قلب رخو .. انك تترك نفسك لامرأة توجهك .

هيمون : محتمل .. على كل حال التصرف الخاطىء لن يوجهنى أبدا .

كريون : انك لا تدافع الا من أجلها .

هيمون : ومن أجلك ومن أجلى ومن أجل الهة الجحيم .

كريون : أبدا لن تتزوجها حية .

هيمون : سأتزوجها اذن ميتة فى الجحيم .

كريون : تهددنى بالانتحار !

هيمون : لا أهدد بشىء .. انما أحاول مكافحة ظلمك .

كريون : سوف تندم .. يا سيدى العاقل .

هيمون : لو لم أكن ابنك لقلت انك تتراجع .

كريون : أسير نساء .. احذر .. لا تدير رأسى بلغطك .

هيمون : تتكلم طوال الوقت ولا تسمع أحدا .

كريون : آه .. هو كذلك .. أيها الجنود احضروا المجنونة احضروا المجنونة سريعا سريعا لتموت أمام خطيبها .

هيمون : انت مخطىء لن تموت فى حضرتى .. انها المرة الأخيرة التى أتحدث فيها اليك وداعا .. زاول غضبك أمام المتملقين الذين يتحملونه .

الجوقة : أيها الملك انه يذهب يجرى انه خارج عن طوقه .. فى سنه يخشى عليه من اليأس .

كريون : فليحاول المستحيل .. لن ينقذهما .

الجوقة : ماذا •• تدين أنتيجون واسمين ؟

كريون : لا •• حقا ليست تلك التى لم تلمس الجثة مطلقا •• ملاحظتكن سليمة •

الجوقة : وأى نوع من الموت احتفظت به للأخرى ؟

كريون : سأحبسها حية فى كهف فى الصحراء •• وسأترك لها قوتا يكفى للتفكير فى جرمها •• سيكون لديها الفرصة للتضرع الى بلوتان •• ولسوف نرى هل تدافع عنها الهة الجحيم •

الجوقة : أيها الحب •• يا من تستولى على أولئك وهؤلاء •• أيها الحب •• يا من تجعل الفقير غنيا والغنى فقيرا •• أيها الحب يا من تضع فى النار خدى الفتاة الصغيرة •• أيها الحب يا من تخترق البحر وتدخل الحظائر •• لن يتجنبك أحد •• لا بين الموتى ولا بين الناس فى الحياة القصيرة •• فينوس لا تقاوم عندما تطلق الرغبة •• نحن أنفسنا فى هذه اللحظة خائنات لأميرنا نبكى لاننا نرى أنتيجون تتجه نحو قبرها (أنتيجون تظهر فى اليمين بين الحارسين •• تتوقف) •

أنتيجون : بنى وطنى انظروا الى انى أبدأ رحلتى الأخيرة وأرى للمرة الأخيرة نور الشمس . اله الجحيم سوف يأخذنى حية دون أن أعرف الزواج ودون أن تردد أغنيات الزواج اسمى..الموت هو الذى سيتزوجنى.

الجوقة : تسوتين اذن دون أن تكونى مريضة .. بدون جرح .. حرة .. عذراء .. حية ذائعة الصيت .. وحدك من بين الموتى ستدفنين عند بلوتان .

أنتيجون : لقد سمعت قصة موت ابنة تنتال التى وقعت فوق قمة جبل سبيل ، أحست فجأة ان الصخرة تأخذها وتدفعها حولها كلبلاب يابس .. وعندئذ كان الثلج يغطيها ودموعها الباردة تسيل من أعلى الى أسفل .. ها هو فراشى ها هى المداعبات التى تنتظرنى (تسير) .

الجوقة : نعم .. حقا .. لكننا بشر مساكين وكانت هى ملكة وبنت اله .. على العموم ان هذا أيتها الميتة العادية عزاء كبير لك أن تلقى مصير ربة (تتوقف) .

أنتيجون : تسخرن منى ، ذلك هو الوقت المناسب ، انضحكن بهذا ، لا ينتظرن حتى اختفى .. آه يا طيبة .. آه يا بلدى يا ذات العربات الجميلة .. انظرى كيف

أدفع وسط ضحكاتهن نحو حفرة بغير اسم •• بغير اسم •• لأنى لست ذاهبة لا عند البشر ولا عند الأشباح ولا عند الاحياء ولا عند الأموات •

الجوقة : انه خطؤك •• لقد هتكت العدالة •• وتتحملين أيضا بسبب أوديب •

أنتيجون : أنا ابنة حرام •• هذا هو السبب فى موتى •

الجوقة : تكريم الموتى خير •• لكن ليس من الخير أن نعصى سادتنا •• كبرياؤك هو الذى جعلك تهلكين •

أنتيجون : لا شىء •• لا شىء •• ولا أحد •• انى أسير الى العذاب وحدى •• بدون أن يرثى لى •• بدون زوج وبدون صديق وبدون تشجيع •• لن ألقى النهار أبدا •• لا ولن ألقى أبدا عينه الذهبية •• أبدا لن ألقى الشمس (تسير) •

كريون : لقد قلتها الآن •• تعرفين أنه اذا كان لا بد من حكايات ومواويل عديدة لكى نموت فلن ننتهى منها أبدا •• هيا •• لتحمل فورا •• لتحبس •• لتترك هناك •

(باندفاع أنتيجون يترك حارس اليمين رمحه يقع

أمامها .. تتناوله .. تبدو وكأنهـا فى محكمـة بين عضوى الجلسة) .

أنتيجون : وداعا .. ليسرقوا منى نصيبى فى الحياة .. سألقى أبى وأمى واتيوكل .. عندما متم أسبلت عيونكم .. أسبلت عينيك كذلك يا بولينتيس ـ و ـ كنت ـ على حق ـ لأنى ما كنت أفعل أبدا هـذا المجهود المميت من أجل أبناء أو زوج .. زوج يستطيع آخر أن يحل محله .. ابن يمكن التفكير فى واحد آخر.. لكن بما ان والدينا قد ماتا فانى لا أستطيع أن آمل فى أشـقاء جدد .. انه بمقتضى هـذا المبـدأ قد تصرفت .. لأقتل .. ليحرمنى كريون من الزواج ومن الأمومة..ماذا فعلت بى الالهة اذن ؟ انها تتخلى عنى اذا أقرت جلادى..سأعرف ذلك غدا وسأصر على فعلتى .. لكن اذا استهجنتهم لتبليهم عذابى (تسير)

الجوقة : ليس فى نفسها أية استكانة .

كريون : تستطيع فى هذا ان تكلف غاليا الذين قادوها والذين تواطئوا معها عمدا .

أنتيجون : لن يطول موتى .

كريون : لا تتصورى أن العـذاب لمجرد ارهابك (أنتيجون

تقاد بواسطة الحرس تهبط الى المستوى الأول تجاه أسفل •• واحد من الحرس يدخل فى جب •• يتبعه الآخر •• يجـذبون أنتيجون برفق من معطفهـا •• تغور بدورها) •

أنتيجون : (يظهر نصف جسدها) يا طيبتى •• قضى الأمر •• انى اسحب •• أيها الرؤساء •• يا رؤساء طيبـة •• آخـر أميراتـكم •• شـاهدوا كيـف أتعـذب وشاهـدوا أى اناس يعاقبون قلبى •• (تختفى)

الجوقة : دانابيه أيضا دفنت حية ونامت فى البرونز •• ومع ذلك يا بنيتنا كانت من أصل عريق وكانت تحمـل بذور جوبيتر الذهبيـة •• لقد صعق باكوس ابن درياس •• هـذا الرجل يأسف كثيرا على انه دفع الكاهنات بقوة وأطفأ مشاعلهن وسخر من بنـات جوبيتر •• (تيرزياس يدخـل من اليمين يرشـده صبى) •

تيرزياس : يا ملوك طيبة ها نحن واحد فى اثنين •• اذ انى ضرير ولا أسير الا مع مرشد •

كريون : ماذا من جديد يا تيرزياس ؟

تيرزياس : ستعرف •• لكن أطع •

كريون : لقد صدقتك دائما .

تيرزياس : ولذلك كنت تحكم فى خط مستقيم .. اعلم انك تنحرف .

كريون : انك تخيفنى .

تيرزياس : هذا الصبى يرشدنى وآنـا أرشد الآخرين .. لقد رأى هياكلنا مغطاة بفضـلات جثة بولينيس تحملها الكـلاب والنسـور .. منذ رد الالهـة ضحايانا والحيوانات المفعمة بالجيفة تعوى فى كل مكان .

صدقنى يابنى ، ان يخطىء انسان فلا غرو .. لكن أن يصر فهـذا دليل على الحماقـة .. لا تضرب أبدا ميتا .. ان حبى هو الذى يخاطبك .

كريون : عظيم .. ها أنذا هدف للرمى بالقوس .. تتحرشون جميعا بى .. حسن .. حسن .. أثروا أنفسـكم اتجروا .. اربحوا ذهب الهند والسند .. لكن لن يدفن بولينيس أبدا .. لقد ذهبت النسور لنقل جثته فوق عرش جوبيتر الذى كنت أرفضه دائما .. ميت واحد لن يدنس الالهة .. يدفع لك يا تيرزياس انهـا علامة سقوطك .

تيرزياس : الى بانسان .. انسان يعلم .. انسان يفهم .

كريون : عصبة الكهنة شديدة الرغبة فى المـال . .

تيرزياس : وعصبة الملوك شديدة الرغبة فى الضرائب .

كريون : انت تعرف انى مليكك .

تيرزياس : أعرف هذا بقدر أكثر مما تدين لى بعرشك وبسلام طيبـة .

كريون : انك تحب المعارضة .

تيرزياس : انك تجبرنى على قول ما كنت أريد اخفاءه .

كريون : تكلم .. لكن لا تخدم الذى يدفع لك .

تيرزياس : أبدو اذن غاية فى الثراء ؟

كريون : وأعلم انى لن أغير رأيى .

تيرزياس : أعلم بدورك أن موت ابنك سيكون ثمنا لجريمـة
دفن امرأة حية وانتزاع جثة لبلوتان .. سوف يمتلىء
قصرك بالشكوى .. الغضب يثير ضـدك البلاد ،
حيث تنقل الحيوانات لحوما ملطخـة بالدماء ..
ارشدنى أيها الصغير .. ليتعلم هـذا الرجل من
الآن فصاعدا تكميم لسانه واحترام سننا (يخرج)

الجوقة : كريون .. أن نبوءاته لا تخطىء أبدا .

كريون : واسفاه .. رأسي يضطرب .. لنر .. لنر .. من القسوة أن نرضخ .. من ناحيـة أخرى شنيع هو جلب سوء الحظ بالاصرار .. ماذا ترين ؟

الجوقة : انقذ الفتـاة .

كريون : هذا وتردن أن أتنازل ؟

الجوقة : ولكن اسرع اذن ؟ إنتقام الالهة يعدو .

كريون : اذا كان لابد .. ان .. ذلك قاس .. قاس جدا .

الجوقة : اذهب .. اذهب .. اذهب لا تكلف أحدا بذلك .

كريون : انى أعدو .. فلتتبعونى بفئوس ومعاول ورافعات .. أخشى أن يكون من المستحيـل التمسـك دائمـا بالقوانين القديمة (يخرج)

الجوقة : انت يا من تتوج بألف لقب .. يا باكوس .. يا ساكن طيبة .. عاصمة الكاهنات .. يا من تجعل النجوم ترقص والليـل يغنى .. اضغط بقدميك الكبيرتين جبلك كما يضغط العنب..اقبل .. اسرع ساعدنا.. اقفز هنا بخمرك المعتق .

(مشهد خال وموسيقى)

رســول : يا مواطنى كدموس ، الحظ كم هو متقلب حقا ..
منذ زمن قريب كنت أحسد كريون .. والآن انكسر
حظه .. الثروة والحظ .. ما قيمتهما بدون سعادة ؟

الجوقة : تــكلم ..

الرسول : انتحر هيمون .

الجوقة : واه يا تيرزياس .. ها هى الملــكة أوريديس ..
سنستمع الى شىء .

أوريديس : (تظهر فى أعلى الدرج على اليمين ، تتكلم بعناء)
معنى هذا .. ان .. قد .. سمعت قليلا .. كنت
أوارب باب معبد منيرفا فكدت أقع على ظهرى ..
ماذا حدث ؟ يجب أن استمع .. أستطيع أن أسمعكم
هيا أنــا قوية .. عندى خبرة بالشقاء الى حد ما .

الرسول : واه يا سيدتى العزيزة .. اسمعى روايــة شــاهد
عيان .. بعد أن حرقنا مع الملك ما تبقى من بولينيس
وابتهلنــا الى ربــة الطرق .. جرينــا نحو كهف
أنتيجون ، عنــدما أعتقد كريون انه يســمع ابنــه
يصيح بداخله .. فتح بضربات معول ورأينا شيئا

محزنا .. أنتيجون معلقة فى حبل مصنوع من ثوبها وكان هيمون يضم الفتاة المسكينة بين ذراعيه .. وعند رؤية كريـون ، فقد هيمون عقـله .. جرد حسامه وبصق عليه .. رأى كريون عينـه الغضبى والنافرة .. فهم الوعيد فهرب .. اذ ذاك غرز هيمون الحسام فى جسده وغطت دماء قلبـه أنتيجون .. تزوجا هنا فى الممات وتدفقت الدماء .

(تتلقى أوريديس هذه الباقة الحمراء وتختفى)

الجوقة : لا كلمة تصدر من الملكة .. كيف يجب أن تفكر ؟ (وقت طويل)

الرسول : لا تريد الظهور (وقت طويل)

الجوقة : الصمت يخيف أكثر من الصيحات (وقت طويل)

الرسول : أجل سأذهب لاتبين الأمر (يدخل القصر)

الجوقة : الملك .. يحمل ابنه .

كريون : (يسحب الجثة فوق ظهره ويدحرجها على الأرض.. يجثو على ركبتيه يربت على شعره) ابنى .. ابنى.. هيمون .. آه .. ابنى .. أنا قاتل .. قتلتك .. قتلتك .

الجوقة : فات الوقت •

كريون : يمسك برقبتي اله •• اله يد فعني فى ظهرى •• بيت السعادة ينهار كله فوقى •

الرسول : أجل أيها الأمير •• مأساة بعد أخرى ••

كريون : مأساة أخرى •• ماذا ؟ •• (يشــير الى كل طول ابنه) ماذا يمكن أن يحدث أكثر من هذا ؟

الرسول : زوجتك ماتت •

كريون : ماتت زوجتى ؟ هــذا غير صحيح ؟ •• آه يا بلوتان تأكل الجميــع •• زوجتى بعد ابنى •• انت تكذب أين هى ؟

الرسول : انظر الى الباب المفتوح (كريون يصعد درج اليمين وينظر) •

كريون : أوريديس •

الرسول : انتحرت عند أقــدام الهيكل ، وهى تتهمك بالقتل •

كريون : انى خائف •• اقتلونى •• اقتلونى بسرعة •• [illegible] فى حفرة بلا قرار •

الرسول : تتهمك بقتل هيمون وأنتيجون •

كريون : (بصـــوت أحمق) ــ ماذا اذن ؟ تقول •• قتلت نفسها ؟ زوجتي قتلت نفسها ؟

الرسول : اكرر لك القول •

كريون : النجدة •• اذهبوا بي •• ابعدوني •• أنـا أقل من لا شيء •• أقل من لا شيء لا أعرف مطلقا أين أضع نظراتي •• يداي •• قدماي •• كل شيء يضيع •• كل شيء ينزلق من تحتي •• الصاعقة تسقط فوق رأسي •

الجوقة : يجب أن نخشى لعنة الالهة •• متأخرا جدا يا كريون متأخرا جدا •

***

سالاكرو ..
واتجاهه الممنوع !

فى مدينة روون ولد « أرمان سالاكرو » ، وكان يوم مولده هو التاسع من أغسطس قام ١٨٩٩ ، أى قبل أن يبدأ القرن العشرون بعام واحد ، ولهذا ينتمى « سالاكرو » تاريخيا الى القرنين التاسع عشر والعشرين ..

كان والده صيدليا ، وأراد هو أن يصبح طبيبا ، ولكنه اتجه الى الأدب والى المسرح بصفة خاصة ، فكتب مسرحيات قصيرة لم يستكملها الا فيما بعد .. أما أولى مسرحياته الطويلة والمنشورة فتحمل عنوان « محطم الأطباق » وقد كان يعنى فى حقيقة الأمر نفسه كمحطم للقيود الفنية والدرامية البالية ، مشتركا فى هذا مع المجددين من أمثال كامو وسارتر ، سابقا فى ذلك بيكيت ويونسكو .

ولكن سالاكرو ككل كتاب العبث من ناحيـة وكتـاب اللامعقول من ناحيـة أخرى لم يخرج بمسرحه عن الثـالوث الخالد فى المعنى والمبنى •• الحياة ، الحب ، الموت •

ولذلك لم يستكمل دراسته للطب مخالفا بذلك رغبته الأولى ورغبة والده الأخيرة ولكنه درس الفلسفة وعلم النفس والأدب ، وعمل بالصحافة الأدبية قبل أن يتفرغ تماما للمسرح •

عرضت أولى مسرحيـاته « البرج المـائل » عـام ١٩٢٥ فهوجم هجوما شديدا مما اضطره الى الاقتراب أكثر من المسرح والعمل مخرجا مساعدا مع « شارل دولان » فى مسرحيـات لا يكتبها هو ، حتى كتب « جسر زوروبا » و « باتشـولى » اللتان أخرجهما مع مكتشفه دولان ، وأصبح متمكنا من حرفيـة المسرح الى جانب أدب المسرح •

وجاءت مسرحية « فندق أطلس » لتبدأ معه مشوار النجاح والانطـلاق والشهرة وهـكذا تكالب المخرجون على اخراج مسرحياته فأخرج « مشيل سان دونيس » مسرحية « الحيـاة الوردية » وأخرج « لدى جوفيه » مسرحية « المجـانين » ، وأخـرج « باسـتون جـاتى » مسرحيـة عـلى مسرح الكوميـدى فى انسـيز عـام ١٩٤٩ ، فدخـل « سالاكرو »

التاريخ جنبا الى جنب « راسين » و « كورنى » و « موليير » أو الكلاسيكيين الكبار •

وتوالت المسرحيات : « امرأة حرة » و « رجل كالآخرين » و « قصة الضحك » و « عرائس الهافر » و « الجندى والساحرة » ثم « ليالى الغضب » وهى أشهر مسرحياته على الاطلاق •

أما مسرحياته التالية فقد جنحت بفنه الى الاغراق فى اللامعقول والاستغراق فى الغموض مثل : « لماذا آنا لا » و « يوق » و « كان الله بالسر عليما » و « ضيوف الله » و « المرأة » و « امرأة شريفة جدا » و « طريق دوران » و « الأسوار الشائكة » وهذه المسرحية « اتجاه ممنوع » •

واتجاه ممنوع كتبها سالاكرو عام ١٩٥٣ بعد فيلمه الوحيدة مباشرة « جمال الشيطان » الذى أخرجه المخرج السيمائى المعروف والشهير « رينيه كلير » •• وبعد انتخابه رئيسا للهيئة العالمية للمسرح ورئيسا شرفيا لجمعية المؤلفين والملحنين •

أما مسرحية « اتجاه ممنوع » فهى مسرحية تكاد تفوق اللامعقول الى السيريالية فهى تتعرض لفكرة غريبة تفترض أن الانسان قد ولد عجوزا طاعنا فى السن ثم يصغر حتى يصبح

طفلا ، أى عكس ما يحدث فى الطبيعة منذ الخليقة وحتى الآن وهو يضع كنوع من الاختبار ، امرأة مسنة فى مواجهة شاب يافع ليجرى عليها التجربة التى تنتهى وهـذا طبيعى بالفشل ، لا لأنهما من عالمين مختلفين فقط ولكن لأنهما من جيلين مختلفين أيضا ، ففـارق السن رهيب والعواطف والأحاسيس مختلفـة والأفكار متعارضة وكذلك الأقدار .

أما تجربة رجل وأمرأة عن عالمين مختلفين ولكن من جيل واحد فتصيب من النجـاح أكثر مما تصيب من الفشل ، على عكس التجربة الأولى .

وتكتشف فى النهاية أن هذا الافتراض لا يصح لأنه يسير فى « اتجـاه ممنوع » .. أما الحيـاة ، الحب ، الموت ، فهى العناصر الثلاثة المشتركة والمشاركة فى هـذه المسرحية الغامضة وان كانت تشكل اتجاها جديدا فى عالم مسرحنا المعاصر الذى ينبغى أن ننفتح عليه ونفهمه ، ولا يهم بعد ذلك ان كنا نعتنقه ونتبناه أم نعبره ونتركه للأجيال القادمة تقول فيه كلمتها التى قد تتفق معنا والتى قد تختلف ، وتلك هى طبيعة الفنون والأدب، والمسرح بصفة خاصة !

اتجـــاه ممنـــوع

سيكودراما

أرمان سالاكرو

مهداة الى ((سيمون دي بوفوار))

الشخصيات :

١ – ماتيلدا العجوز (٩٠ سنة)
٢ – دانيـــال (٥٥ سنة) .
٣ – ايفلين زوجته (٥٠ سنة) .
٤ – أوديـل (٢٨ سنة) .
٥ – راؤول زوجها (٣٥ سنة) .
٦ – بول – حبيبها (٣٠ سنة) .
٧ – آديـــه (١٨ سنة) .
٨ – جيرار – خطيبها (٢٢ سنة) .
٩ – السيد العجوز (٨٥ سنة) .
١٠– جوزيف – رجل العالم الآخر (٣٥ سنة) .

● **اتجاه ممنوع**

● **ســـالاكرو**

قاعدة على هيئة شقة لها سلالم متوسطة الارتفاع .. أبواب كثيرة ، احد هذه الأبواب يفتح على ممر خال تماما .. اضاءة متواترة على مناطق ــ وأضواء ساطعة . تكعيبة عنب كبيرة تصــل الى السطح .. سماء صافية .. ليل مقمــر .

ماتيلدا العجوز : (٩٠ سنة ، محنية ، ترتكز على عكازين) أخبار اليوم صحيحة ؟

دانيـــــال : (٥٥ سنة ، يلعب بالورق مع زوجتـــه ايفلين ٥٠ سنة) على حسب الاعراض يعتقد الدكتور أن الولادة ستتم خلال الساعات المقبلة .

ماتيلدا العجوز : نفس الدكتور قال أمس وفى نفس الساعة ، نفس العبارة ، فاذا أخطـأ أيضا ..

دانيـــــال : اذن لن تتم الولادة غدا ؟

ايفلـــــين : (لزوجها) العب ؟

دانيـــــال : شيء يضايق ، لأني سأكسب ، وأنت لا تحبين أن تخسري ؟

ايفلـــــين : العب ، من الصـباح وحتى المســاء ، وأنت تثرثر ؟ ثرثرة ؟
الرغبـة تدفعني ولو للحظـات الى تغيـير اهتماماتك . ألعب ؟
(أوديل ، سيدة شابة في الثامنـة والعشرين وفاتنة ، ما أن تلمح ماتيلدا العجوز وهي تشم باب الرواق حتى تنفجر في الضحك)

ماتيلدا العجوز : تضحكين ؟ تضحكين ؟ لكني ضقت بالحيـاة وحيدة ، هل تسمعين ؟ الوقت يطول واليوم لا ينتهي .

أوديـــــل : الصبر يا ماتيلدا الطيبـة .. سيجيء الوقت الذي يجعلك تركعين أمام الأيـام القصـيرة للغايـة .

ماتيلدا العجوز : صحيح ، لا شيء يدعـوك للعجـلة ، أنت تنفتحين على الحياة ؟ مع رجليك ؟

راؤول : (٣٥ سنة ، زوج أوديل) مع رجليك ؟ بماذا تلمحين ؟

ماتيلدا العجوز : لا ألمح بشيء ! أى رجلين ! أنت زوجها وهو صديقها ؟

بـــول : (٣٠ سنة ، صديق أوديل) هذه التلميحات على وضعنا ليست أخلاقية ، أنت انسانة مقززة ، وعجزك ليس عذرا كافيا .

دانيـــال : (مهدئا) ستتخلص من هذا ؟

بـــول : لا .. طبيعتها شريرة . وشرهـا يتفـاقم مع السـنين .

ايفلـــين : فى حالتها ، عليك أن تميز بين الشر والملل .

أوديـــل : الملل ؟ الملل ؟ لكى نتألم هناك ما هو أقسى من الملل ، صدقينى .

ايفلـــين : وما هــو ؟

أوديـــل : الرغبة ، الرغبة الحارة فى السعادة .

ماتيلدا العجوز : وفى سـنك لكى تكونى سـعيدة لابد وأن تشجبى رجلا فى كل ذراع ؟

رافـــول : غير معقول .

بـــول : على أية حال ، عليها أن تسكت ؟
(موسيقى هادئة)

آديــــه : (فتاة فى الثامنة عشرة) حبى ؟

جــيرار : (٣٣ سنة ، زوجها) ملاكى ؟

آديــــه : جيرار ؟

جــيرار : آديه ؟ طهـارتى .

أوديـــل : أوه ! اليمامة وزوجها ، هيا على السطح .

جــيرار : فكرة ساحرة ، يا حبى ؟

آديــــة : بالقرب من السماء ، فى ضوء النجوم ، جيرار !

جــيرار : أنت ، أرحب من العالم ، فريدة فى رؤيتـك للحيـاة .

(يخرجان متشابكين . تختفى الموسيقى أيضا)

أوديـــل : فريـد أنت أيضـا يا راؤول ، أنت حبى الوحيـد . لكنى (لبول) لا أسـتطيع أن أستغنى عنك ، للأسف ، حتى وصورة زوجى فى رأسى وفى قلبى .

بـــول : (لراؤول) يضايقك وجودى ؟ اذا كنت تريد أن تهدأ فاعلم انى أغار منك . فأوديل للأسف، تعرف حقيقتنا : أوديل لا تحبنى .

أوديـــل : (بعتاب رقيق) بول ؟

بـــول : أوديل تحتاج الى فى الحقيقة ، ولكنها تحبك

أنت وستظل تحبك حتى آخر سنوات عمرها
الناضجة . ذات يوم ستهدلا مثل اليمام .
ولن أكون هنا سأكون قد انتهيت .

دانيـــال : (لبول) أصبر أنت أيضا ، وستحل عقدك .

أوديــل : راؤول ، أؤكد لك انى بريئة ، لأنى فى صراع
أصارع بكل اندفاع المياه التى تسقط فتصطدم
بصخور الجبل كل لحظة .

ايفلــين : تزعجينا بحكايات هذا الثلاثى منذ ثلاثين عاما .
الشقة صغيرة ، فهل هذا سبب لازدحامها أكثر؟

أوديــل : راؤول ، أخجل من جسدى ، لكن روحى
كلها لك .

ايفلــين : جسدك ، روحك ؟ جسدك ، روحك ؟ اذهبى
اذيعى وناقشى همومكم فى حجرة النوم .

أوديــل : (بول) اتبعنى .. جسدى يريدك ، أنت تعلم .

بــول : حقا ، جسدك فقط ؟

أوديــل : (لبول) لكن روحى تتكلم أيضا مع جسدى .
أنا أيضا جسدى .

راؤول : جسدك ؟ هذا الصندوق العفن الذى تفضليه على روحك ٠

أوديـــــل : (لراؤول) أنـــا لا أفضـــله ٠ ســـل الليل والنهـــار ، وكل الساعات التى تحـــاصرنا ٠ لا يمكننا أن نهرب منها ٠

راؤول : وهذه الفكرة لا تجعلك تنزعجين من الذكريات التى تصنعك اليوم وسوف تجعلك فى المستقبل ترتعدين من الخجل ؟

أوديـــــل : فى سن معينة تصاب النساء بالبلاهـــة ، وقد وصلت الى هذه السن ٠

بـــــول : يا للقســـوة ٠

أوديـــــل : لا تتعذب يا راؤول ٠ لو تعلم شوقى الى هذه الساعات التى أجد فيها نفسى أخيرا سعيدة الى جوارك ، وحدى تماما معك ٠

ماتيلدا العجوز : تنسين وصول المولود الجديد ٠ أنـــا أيضـــا يحرقنى الشوق والفضول ؟ تنسين انى أنتظر ذلك الذى سيجىء ليؤنس وحدتى على الأرض؟

راؤول : (يرى أوديل وهى تختفى مع بول فى الحجرة) أوديل ؟

أوديـــل : عزيزى راؤول ! (تغلق الباب) •

راؤول : لا تكذب انها شريفـة • تصـارع • وأنـا أتعـذب !

ايفلـــين : أوه ! دعنا نلعب •

راؤول : (لدانيال) سـوف تفهم بعد عشرين سنة ، عندما تقول لك هـذه السيدة (يشـير الى ايفلين) « أعبدك ، لكن تحمل ، حـاول أن تتحمل ازدواجية روحى ورغبات جسـدى » نعم ، سوف تفهم وقتها •

ايفلـــين : حتى ذلك الوقت لا يمـكنك أن تتعـذب فى صمت ؟

دانيـــال : ولمـا لا تفـكر فى شيء آخر يا عزيزى ؟ فى نموذج آخر مريح مثلا ؟

ايفلـــين : وتجيء الأيام السعيدة •

راؤول : ربما •• لكن كم هى بطيئة الحياة ! وهـذا المساء ، لى الرحمة ، لى الرحمة (يخرج من باب آخر) •

دانيـــــال : ومنذ الآن سوف ترون فى مستقبلنا هذا النوع من الاضطراب !

ايفلـــين : لا تكن غبيا ، العب !

دانيـــــال : المـلك !

ايفلـــين : وماذا ؟ اجمع حصيلتك ، طالمـا انك كسبت كن لاعبا ماهرا ، ولو لمرة واحـدة . ثم لا تعدو كارها لهذا النصر الذى يهرب منى .

دانيـــــال : ايفلين ، عرفنا معا رزائـل الشيخوخة ، وفى هذه اللحظة نقتسم ملل الحب الصامت .

ايفلـــين : كيف تتصـور أنى أجن يوما بحبـك ؟ وأن تكون نبع تلك العواطف السحرية التى تثير مشاعر الشباب ؟ فى هذه اللحظة أمام رأسـك الرخو غير المعقول . أوه ؟ كم تثـير غضبى (تقلب المـائدة وتخرج)

ماتيلدا العجوز : من المفيد أن نشاهد طريقـة حياتكما ، شىء لا يشجع ؟

دانيـــــال : لأنك لا تبصر الا صباح اليوم نفسه ، لكنـا أكثر سعادة من أى وقت مضى .

ماتيلدا العجوز : لننتظر واسوف أرى جيدا ! لكن الانتظـار سيجعلنى أمشى أحسن ، أليس هذا هو رأيك ؟ قل ، دون كذب ، المولود الجديـد سيصـل اليوم حقا ؟ !

دانيـــال : اذا حدثت ولادة ، سيفتح الباب من تلقـاء نفســه .

ماتيلدا العجوز : لكن اذا كانت ولادة عسرة ؟

دانيـــال : سيفتح الباب من تلقاء نفسه كذلك ؟

ماتيلدا العجوز : ساعده ، أرجوك ، فى الفتح .

دانيـــال : (يذهب ليفتح الباب الذى لا يلبث أن يغلق ببطء) أترين ؟ ربمـا لا يـكون المولـود الجديد لك .

ماتيلدا العجوز : بما انى العازبة الوحيدة .

دانيـــال : المولود قد يجىء فى سن الشيخوخة .

ماتيلدا العجوز : (مهمومة) أوه !

دانيـــال : أنا نفسى ، منذ اليوم الأول ، كانت كل أسنانى فى فمى ، وكنت أمشى بدون عصى .

ماتيلدا العجوز : آه !

دانيـــــال : وفجـأة ، أصبت بقرحة ، ولكنهـا التأمت . ولم يعد عرق النسـا يؤلمنى الا فى الأيـام الممطرة .

ماتيلدا العجوز : وهل يمكن أن يجىء المولود الجديد اليوم ؟

دانيـــــال : لكم أسفت على أنى لم أحيا سنوات عمرى بعد أن سرحت من الجيش غير نادم عليه ! لكنى رأيت الأكثر منى شبابا يعزلون ـ أحدهم كان فى عنفوانه ، كان يبلغ من العمر عشرين ربيعا .

ماتيلدا العجوز : لكن ماذا أفعل أنـا بصبى قريب من الموت ؟ لننتظر حتى النهاية ؟ ربما جاء المولود الجديد بعكازين هو الآخر .

دانيـــــال : ماتيلدا الطيبـة ، لا تتحركى كثيرا . عالجى قدميـك !

ماتيلدا العجوز : بعد كم من الوقت تعتقـد أنى سأمشى بدون عصى ؟

دانيـــــال : الطبائع تختلف كثيرا !

ماتيلدا العجوز : تعتقـد ؟

دانيـــــال : نعـــم ؟

ماتيلدا العجوز : (أمام مرآة) وعندما تمحى تجاعيد وجهى تعتقد أنى سأصبح جميلة ؟

دانيال : نعم !

ماتيلدا العجوز : جميلة جدا ؟

دانيال : عيناك جميلتان •

ماتيلدا العجوز : عينان جميلتان فقط ؟

دانيال : يضيرك أن تكونى طيبة ؟

ماتيلدا العجوز : أستطيع أن أكون طيبة اذا أردت •• أما الجمال •

دانيال : تنقصك الخبرة ، يا صديقتى الطيبة •• معظم الناس لا يمكنهم أن يكونوا طيبين • بل لا يرغبون حتى فى ذلك •

ماتيلدا العجوز : اذا لم يرغبوا فهم لا يتألمون • أما القبح فأى امرأة يمكنها أن تتقبله ؟

دانيال : تلك التى تصبح طيبة •

ماتيلدا العجوز : هذا الانتظار يحطمنى • سأهدل الى جوار اليمامتين •• أين هما ؟

دانيال : يودعان فترة الخطوبة •

ماتيلدا العجوز : هل ستنفصلان ؟

دانيــــــال : بعذوبة شديدة • سوف ترين ، بهدوء بالغ •

ماتيلدا العجوز : لكن نادني بمجرد أن يفتح باب المولود الجديد •

دانيــــــال : طبعا يا ماتيلدا الطيبة • اعتمدى على (تخرج ينظر فى مرآة يلعب بعينيه ، يداعب شعره وهو فوق جبهته فلم تزداد صلعته بعد) لا لمن أصبغ شعرى •• أفضـــل الانتظار حتى يصبح غزيرا (يفتح الباب • ثم صمت مفاجىء وســكون على نفس الموسيقى من جديد)

الهى ، يا الهى ، ها أنت تطلق على الأرض حرية مولود جديد أتوسل اليك لا تدعوه للحياة ، أنت الذى تعلم الغيب ، اذا كنت تعلم انك ستدفعه فور خروجه الى نار الجحيم الأبدية • وبما انك الاله الطيب القـادر ، انزعـه من الوجود • لا تدعه يدخل وأغلق البـاب على الفور • ودون أن أعرفه ، أعـلم ما يريده واستطيع أن أقوله على لسانه : انه يفضـل العـدم على الوجـود فى جحيم يصعب عليه الهروب منه فى نهايـة حياتـه ، فليدخـل ،

سأتقبله كأخ (صـــمت • يظهر جوزيف على استيحاء وهو فى الخامســة والثلاثين) ألقى الزهر • نعم يا عزيزى من هنــا • اخرج من الباب • تقدم •

جـــوزيف : هنا ؟ تعتقد ؟

دانيـــــال : متأكد • كنا ننتظرك

جـــوزيف : أتنقل من ممر الى ممر منذ ساعات • سقط الليل وأحسست فى جنح الظلام انى مفقود •

دانيـــــال : مفقود ؟ بالتأكيد ؟ لم تكن ترغب فى أن تعزل فى الأرض ، ومنذ اليوم الأول تجد نفسك مع تنسم حمامة راحلة تخرج من قفصها •

جـــوزيف : اعزل فى الأرض ؟

دانيـــــال : نعم • ستعتاد ذلك يا عزيزى الطيب • قبل كل شىء تعلم كيف تستنشق بعنف • كيف عدوك وأنت تدخل ؟ نعم ، اسم العائلة واسمك ؟

جـــوزيف : جوزيف •

دانيـــــال : جوزيف ؟ ستعتاد ذلك أيضا . لا أحد يختار اسمه كما لا يختار قدره . اسمى دانيال .

جـــوزيف : يمكننى ان اسألك ...

دانيـــــال : لا .. استرح .. ها هو المقعد .. اجلس . كيف يمكنـك أن تختـار أسـئلتك ؟ على أنـا اسـألك ، واجاباتـك ، الواحـدة تلو الأخرى ، ستفسر لك ما ينبغى عليك أن تعرفه. أولا كن صبورا . ومع السـنوات التى تمـر ستتعلم كيف تحيا . كيف تحيا بغير سأم فى المعجزة الكبرى .. ما عليك الا أن تفكر بغير توقف فى شىء آخر تماما . وفى سنك هـذه سيكون الأمر سهلا .

جـــوزيف : عمرى خمس وثلاثون عاما .

دانيـــــال : يا متيلدا المسكينة ! لكن لا تأسف على شىء . بالنسبة لك ، فان ما يمكن أن يحدث قد حدث فسن الخمسة نفسها ليست سنا هرمة . ولكن يمـكن صنعها . زوجتى بلغت الخمسـين . شىء يضايق . فى هذه السن النســاء تصبحن

شرســات . لكنى أتكلم .. أتكلم ولا يمكنك أن تتفهمنى .

جـــوزيف : اعترف أنى .

دانيـــــال : أنــا ، أمارس مهنتى منذ عشرين عاما .

جـــوزيف : أى مهنــة ؟

دانيـــــال : مهنتك الآن : الرجل الممتلىء بالحياة .

جـــوزيف : آوه !

دانيـــــال : (يبرز عضلاته) لكنى سأدخل قريبا فى المرحلة الساحرة ، مرحلة الأربعينات المنتصرة .

جـــوزيف : مرحلة الأربعينات المنتصرة .

دانيـــــال : تلك التى توصل الى سنك .

جـــوزيف : تلك التى توصل الى سنى ؟

دانيـــــال : لا تختل . لازلت آذكر يومى الأول ، عندما دعانى الاله الطيب لقضاء عدة سنوات على هذا الكوكب الساحر . لم أكن أدرك شيئا بعد . ولكن المرء يستقر . يكتسب عادات . يلتقى بأصدقاء . ويخبىء ملله فى الرزائل . ومع

العادات والأصدقاء والرزائل لا تصبح الحياة كريهة . اذا سمحت لى بأن أقدم لك نصيحة ، فانى أوصيك بالرزائـل فهى أكثر وفـاء من الأصدقاء اننا نحتفظ بها وقتا طويلا .

جـوزيف : أوه تعرف أني ، أقصد نوعى ، ليس هو النوع المفكر .

دانيـال : انتظر حتى تكشف لك الحياة .

جـوزيف : أوه لكنى أعـرف نفسى . انى أتتمى أكثـر وللأسـف الى ذلك النوع المحب ، العاطفى جـدا .

دانيـال : أرجوك تخفى ذلك عن ماتيلدا . والا ستزيد من صدمتها لأنها ستصاب بالاحباط . يا ماتيلدا المسكينة .

جـوزيف : ماتيلدا ، ماتيلدا من ؟

دانيـال : تلك التى كانت تنتظر وصولك بفارغ الصبر . نعم لكى تتزوج منك .

جـوزيف : تتزوج منى ؟ بسرعـة ، دون أن تعرفنى ؟

دانيـال : لا يسبق أى زواج أى تعارف ولكن بالممارسة يتم التعارف .

جـــوزيف : صحيح هذا ؟ هل هذا صحيح ؟

دانيــــال : ولدت منذ ستة شهور .

جـــوزيف : ستة شهور وتريد أن تتزوج منى ؟

دانيــــال : أنت لا تعرف النســاء ، يتخيلن أشــياء ثم للأسف يرغبن فيها .

جـــوزيف : حتى ولو كان فى ستة شهور ! أقل ما يمكن أن أقوله ، يمكنها أن تنتظر .

دانيــــال : لقد ضاق بها الحال بالفعل . أوه ! الملل يجىء بسرعة ، سوف ترى . انها تصرخ .

جـــوزيف : تصرخ ؟ يا للمسكينة الصغيرة . أسنانها تنبت .

دانيــــال : كلا ، أســنانها تنبت بدون ألم . وســوف تصبح جميلة .

جـــوزيف : ليست لديك النية على أية حال فى أن تخطب لى فتاة لازالت تفعلها فى الفراش ؟

دانيــــال : ما يحيرنى هو أنها لازالت هنا . بعد ســتة شهور ، أصبحت مهيأة لم تعد تريل .

جـــوزيف : عظيم .. انها فى تقدم ؟

دانيـــــال : هـذا المســاء كنت أنظر اليها ، كانت تقرقر بطقم أسنانها كالأرنب .

جـــوزيف : وتمشى الآن ؟ انها ظاهرة ماتيلدا هذه ؟

دانيـــــال : نعم ، مخلوقة نادرة . طريقتها فى الحـديث أصبحت عظيمة .

جـــوزيف : وتتـكلم ؟

دانيـــــال : وأكلها يهضم بسرعة وجيدا ؟

جـــوزيف : وتأكل أيضا فى هذه السن . لم أر هذا أبدا .

دانيـــــال : لم تر شيئا بعد . سوف ترى . أنا شخصـيا لا أشكو . شعرى ينبت ، أنظر ، لا ينقصنى سـوى ضرسين فى الجـانب الأيسر . التهاب مفاصل أصابعى المزمن ليس الا ذكرى قديمة والبروستاتا لم تعد تؤلمنى ، لن تصادف حظا مثل حظـك فأنت معفى من هـذه المـآسى الصغيرة . أما أنـا ، تبا للأيام السعيدة ، كنت سأصبح رياضـيا فـذا . لكن ذكـرى زوجتى السنوية زادت حدتها .. وان كانت تزداد ببطء ...

هل أنت مفاجأ ؟ الحياة نفسها مفاجآة ، وفى

الوقت الذى تمنحك فيه كل شىء ، تصـدمك بما هو تافه .

جـوزيف : الاستماع اليك يعد صدمة مروعة حقا .

دانيـال : يؤلمنى أن أخيفك ، فى مثل سنك تكون الحياة جميـلة .

جـوزيف : ليس هـذا رأيى . مطلقا . الحيـاة كابوس حقيقى . حياتى على الأقل .

دانيـال : لا تطـاوع نفسـك فى الاعتقـاد بما لا قيمـة له فى نظرك .. فالخالق بطبيعته المطلقة هيـأ لنا رفيق سفر سـاحر حتى يعيننا على تخطى لحظات اليأس . أريد أن أكون أول من يطلعك على هـذا ويؤكده لك . هذا الرفيق يسمى النبيذ ويوجـد نـوع أبيض وآخر أحمر . لا تشرب منه كثيرا فى اليوم الأول .

جـوزيف : تعتقد أنى كنت أنتظرك حتى أجرع زجاجتى الأولى ؟

دانيـال : (الزجاجـة والكأس بين يديه) شربت نبيذا بالفعل ؟

جـوزيف : نعم ، منذ سنوات .

دانيـــال : كيف ؟ ألم تعزل فى كوكبنا الآن فقط ؟

جــوزيف : دع الدعابـة جانبـا ، فهل التقيت بكثير من المواليد فى مثل سنى ؟

دانيـــال : أعرف منهم الأكثر شبابا .

جــوزيف : وأنـا أيضـا .

دانيـــال : اذن على أى نحو جئت ؟

جــوزيف : صغيرا جدا . أوه . صغيرا جدا .

دانيـــال : بأسـنان ؟

جــوزيف : كـلا ..

دانيـــال : بشـعر ؟

جــوزيف : كـلا ..

دانيـــال : كنت تمشى ؟

جــوزيف : كـلا ..

دانيـــال : كنت تتكلم ؟

جــوزيف : كـلا ..

دانيـــال : صديقى المسكين !

جـــوزيف : كنت أريك •• وأنـــا أيضـــا كنت أفعلهـــا فى الفـــراش •

دانيــــــال : كنت فاقد الادراك تماما ؟ بلحية بيضاء كبيرة •

جـــوزيف : كلا ، لكن قل لى ألم تصب بغرغرينة فى المخ ؟

دانيــــــال : كلا يا صديقى •• ومهما وصل أثر الشراب فان عقلى يعمل بانتظام • أرجوك وبالتحديد أن تقول لى فى أى سن ولدت •

جـــوزيف : فى سن أحد الأيام ، اليوم الأول •

دانيــــــال : مثلى بالتأكيـــد ، مثل كل البشر • فى اليوم الأول لحياة الانســـان يبلغ من العمر يومـــا واحدا • ولكن منذ كم من الوقت •

جـــوزيف : منذ خمس وثلاثين أو قل ست وثلاثين عاما •

دانيــــــال : وماذا فعلت منذ خمس وثلاثين عاما ؟ أين كنت تنـــام ؟ ولمـــاذا ؟ كنت مصـــابا بمرض خبيث أردت أن تجعله سرا ؟

جـــوزيف : أنـــا ؟ كـــلا •

دانيــــــال : مرض جسمانى معيب أصلا ؟

جـــوزيف : كنت دائما صبيا كامل التكوين .

دانيـــــال : صبيا ؟ لا تضطرب ، وأجب بهدوء . أنـا رجل متفاهم .. بعد اليوم الأول . ماذا أصبحت ؟

جـــوزيف : حسن . استمر الحال ، كنت صبيا ، ثم شابا ، ثم جنـديا محاربا . تزوجت فى سن الثانيـة والعشرين ، ثم هجـرتنى زوجتى منذ سـبع سنوات ، ورحلت فى سن الثلاثين . فى سـن الخامسة والثلاثين لم أسـتطع نسـيان حبى وها أنذا ..

دانيـــــال : (ساخرا) كنت صبيا ثم شابا ..

جـــوزيف : لعبت كرة القدم ، سنتر هاف ..

دانيـــــال : سنتر هاف .. نعم ، نعم .. ثم جنـديا .. شابا بالتأكيد .

جـــوزيف : نعـم ..

دانيـــــال : شىء مثير . واللحية نبتت فى ذقنك .

جـــوزيف : كلا ، كنت أضع الشنب .

دانيـــــال : الشنب ؟ أوه .. عظيم . أرى نوعه ..

جـــوزيف : أى نـوع ؟

دانيـــال : السيد يروى النكات ؟ السيد يخترع القصص؟

جـــوزيف : أنـا ؟ (تدخل ايفلين)

ايفلـــين : يا لماتيلدا المسكينة •• انه شاب •

دانيـــال : لا تسعدى بمثل هـذه السرعة بخيبة أمـل المسـكينة ماتيلدا ، الموضـوع أكثر من ذلك (لجوزيف) مهرجة ، ترفض ، ترفض منـذ اليوم أن تأخذ الحيـاة مأخذ الجد وتختفى وراء روايـة •

جـــوزيف : لكن أى روايـة ؟

دانيـــال : السـيد يدعى أنه وجد على الأرض منـذ خمسة وثلاثين عاما •

ايفلـــين : وماذا فعلت منذ خمسة وثلاثين عاما •

جـــوزيف : أنـا ؟ هيه • عشت •

ايفلـــين : (لدانيال) أى غرابة فى ذلك يا عزيزى •

دانيـــال : يدعى أنه عاش النصف الآخر من حياته •

ايفلـــــين : أى نصف آخر ؟

دانيـــــال : يريد أن يجعلنا نعتقد أنه بدأ من النهاية .

جـــوزيف : لم أقـل أبدا أنى بدأت من النهايـة ! أنت نفســك ...

دانيـــــال : لا تضـع كلامى فى موضـع الشـك . أنـا أعرف حسناتى وأعرف عيوبى .. وراء هـذا المظهر المتردد والهـادىء نسبيا فأنا غضـوب لا يجهل نفسه مطلقا .

ايفلـــــين : (لجوزيف) ما يخيفنى مسـتقبلا ، هو أننـا عندما تزوجنا منذ خمسة عشر عاما كان فاترا وكان غضبه لا يظهر الا من خـلال أحاديثـه التى توقظه من حين الى آخر . لكن بعد عشرين عاما عندما تظهر له عضـلات ملاكم فتى .. (لدانيال) لن أتخل مطلقا عن ضربـه على الخد أو على الجسم .

جـــوزيف : بالله عليك ، هل سمح لك بالكلام ؟

ايفلـــــين : من الطبيعى انك شربت نبيذا بالفعل ؟

دانيـــــال : معى ، كانت زجاجتـه الأولى . على الأقـل أعتقدت أنه ..

جـــوزيف : (منفجرا) هذه المرأة كنت ستلتقى بها اذن لأول مرة صلعاء ذات أســنان صفراء ، وكنتمــا سترتميان أحدكما فى أحضان الآخر ، وعيونكما مغلقة لكى تسقطا يوما تحت قدمى فتاة مليئــة بالحياة ولونها وردى ؟ وتريدنى أن أصدق قصة من هذا النوع ؟

(تدخل ماتيلدا العجوز)

دانيـــــال : وانت كنت تريدنى أن أعتقد أنى كنت سأكون فيها الى حد أن ألقى بنفسى فى أحضـــان فتاة مليئة بالحياة على أمل أن أجدها يوما ملقاة فى مواجهتى ، فى مثل هذه الحالة ؟

جـــوزيف : لست أنــا الذى اخترع الموضة .

ماتيلدا العجوز : عن أى حالة تتحدثون ؟

ايفلـــين : عن حالتك .

ماتيلدا العجوز : ماذا يحدث يا أصدقائى الطيبين .

ايفلـــين : (لمــاتيلدا) المولود الجديد . (لجوزيف) منذ ستة شهور وهى تنتظر لتتزوج منك .

ماتيلدا العجوز : بعد أربع أو خمس سنوات سأصبح أهلا لعرض نفسى .

دانيال : وبعد ثلاثين سنة ، ستصبح آية فى الجمال .

ايفلين : تعتقد ذلك .

ماتيلدا العجوز : (تهمهم) لكنه شاب ، لا يمكن أن ينتظرنى.

جوزيف : رعد قاصف . من المؤكد أنى أخطأت الباب . أين أنا هنا ؟

دانيال : على الأرض ، تحت عين الله الساهرة .

(يدخل راؤول)

راؤول : السيد دانيال ، سيد دانيال ، خبر رائع . كم أنا سعيد .

دانيال : حسن ، لعله يريحنى .

راؤول ، لقد أصبحت أوديل لى فى النهاية ، لى وحدى ، لا لأحد غيرى .

ايفلين : هرب بول .

راؤول : كلا ! نسيته . (تدخل أوديل)

أوديـــل : هيـه يا عزيزى . أبحث عنك بالقرب منى ولا أجـدك .

ايفلـــين : غيرت رأيك اذن ؟

أوديـــل : أنـا ؟ مطلقا ، أعلم دائمـا أن حياتى كانت تدفعنى نحو حب فريد .. راؤول ، أنظر الى ، ألم أصبح شفافة ؟ كم سيكون جميلا شبابنا ، يا راؤول . (يدخل بول)

بـــول : سيدتى ... (فترة صمت)

أوديـــل : (لراؤول) كن مهذبا يا راؤول . بول صديق ساحر ، يحترمك كثيرا . تعلم أنه كان يغازلنى لفترة . هل تستطيع أن تلومه على انه وجدنى حيويـة ؟

بـــول : أوديـل .. سـتكونين أكبر ذكرى لصـدر شبابى . لكن اليوم للأسف ، كل شىء يفرق بيننا . وتهربين منى الى الأبد فى اللحظة التى ستصبحين فيها أنت نفسك .

أوديـــل : لا تصدق أنى سأنساك يا بول . كنت فى حاجة اليك لأحرر نفسى من رغبات طالمـا هزت نفسى قبل أن تشبع . كنت أريد أن اهدىء فضولى

وقد أحسست بخفتى منذ أن جلبت معـك ، بالرغم من كل هـذه الاشتهاءات التى لم تعد تجـذبنى (تلحظ جوزيف) من هـذا الصبى الجميـل ؟

دانيـال : المولود الجديد ... الخ .

(دانيال وراؤول فى شبه اجتماع سرى . بول يبتعد) .

جـوزيف : (لماتيلدا العجوز) من هذه ؟

ماتيلدا العجوز : امرأة وزوجها .

جـوزيف : وهذا الصامت فى الركن ؟

ماتيلدا العجوز : صـديقها .

جـوزيف : صـديقها ؟

ماتيلدا العجوز : نعم يسمى ثالث الثالوث . انه فى عمرهمـا ، كما يبدو ، عمر الثالوث . وقيل لى أن الثالث يمكن أن يكون امرأة . لكن فى هذا الثالوث هو رجـل .

أوديـل : حب جميل جدا ، وأسفاه .

جـوزيف : (لماتيلدا العجوز) زوجها ؟ صديقها ؟
(لأوديل) سيدتى •

أوديـل : عزيـزى •

جـوزيف : سيدتى ، أنت تبدين لى سيدة طبيعية •

دانيـال : لقد لعبت بها الأقدار لعبة هزلية •

جـوزيف : أى لعبة هزلية ؟ مطلقا •

دانيـال : يشـكو •••

جـوزيف : لكننى لا أشكو •

أوديـل : لا ينبغى أن تشكو من شىء • لقد أغتصبت •

جـوزيف : كلا • أف •• بلى •

أوديـل : اعترف لى يا عزيزى • لقد أصبت بأذى بالغ
حقا ؟

جـوزيف : ألم شخصى ••

أوديـل : المسائل الشخصية هى التى تحسب •

جـوزيف : زوجتى هجرتنى ، وكنت أحبها ••

أوديـل : آوه ••

راؤول : منذ زمن طويل ؟

جـــوزيف : منذ سبع سنوات •• تزوجنا ولم تكن قد بلغت العشرين ••

أوديـــل : ومما تشـكو اذن ؟ اذا كانت زوجتـك قد هجرتك منذ سـبع سـنوات وهى فى هـذه السن ، فهى الآن فتاة صغيرة جدا !

جـــوزيف : هيـه ؟

أوديـــل : لا يمكن التفكير فى الزواج من امرأة فى وقت متأخر هكذا ••

جـــوزيف : أوه •

ماتيلدا العجوز : معى ، سيكون لديه الوقت كله •

جـــوزيف : احتفظوا بدمائكم باردة •• زوجتى تبلغ اليوم عامها الثلاثين •

دانيـــال : لأنك كنت تقص أيضـا على زوجتك نكاتك الصغيرة وكنت تقول لها من الصباح حتى المساء انها ستصبح هرمة •

أوديـــل : أى هوى غريب •

دانيـــال : هل ترين أى مهزلة يوضع فيها هـذا الفتى المسـكين •

ايفلـــــين : فى الحقيقة ، هو فتى يرثى له ..

جـــوزيف : (منفجرا) ليس بعد لكن عنـدما أقص على زملائى بان هنـاك من اعتبرنى هـذا المساء مولودا جديدا أعتقد انهم سينظرون الى بطريقة تدعو حقا الى الرثاء الحار .

ماتيلدا العجوز : لا يبقى غير اعلانها .. بما انه يسير فى اتجاه . وأسير أنا فى الاتجاه الآخر ، على أن أمسـك به . أعتقـد انى سأحب كثـيرا من يطلقون النـكات .

راؤول : (بذوق بالغ لبول) حتى ينسى شيخوختـه يخترع ذكريات طفل صغير .

بـــول : كم هو غريب !

دانيـــال : (ساخرا) كان بطلا فى كرة القدم .

أوديـــل : دوليـا ؟

جـــوزيف : كلا ... مدرسيا .

دانيـــال : مدرسـيا .

راؤول : (سـاخرا) وكنت تعود الى البيت بينطلون قصـير .

جـــوزيف : تمام (يفتش في ثيابه) ليست معى صورا ..
لأنى لو اطلعتكم على صور لى فى تلك السن
هيه (يشـــير الى ارتفـــاع صبى) ستجدون
أنفسكم مضطرين الى تصديقى .

دانيـــــال : لقد اقتنع تماما انه من عام لآخر سيحيا حياته
بالعكس حتى يصل فى النهاية الى حالة ماتيلدا
الطيبـــة .

أوديـــل : بافكار مثل هذه ، تكون تعسا حقا .. تتحمل
ولو بالتخيل صورة منحطة الى هذا الحد .

ماتيلدا العجوز : طالمـا يعتقد أنه سيشبهنى فيما بعد ، فيمكنه
أن يتزوج منى على الفور !

جـــوزيف : وهل تعتقدين أن هذه العنزة العجوز ستتحول
بين يوم وآخر الى شابة مليئة بالحياة ؟

ماتيلدا العجوز : عنزة عجوز ؟ !

(آديه وجيرار يدخلان على صوت غناء عذب)

دانيـــــال : بجد يا عزيزى الا ما تريد أن تصل بنظريتك ؟

جـــوزيف : ولكنى لا أحمل نظرية .

ايفلـــين : (تغزل التريكو) بلى ! بما انك تعتقد فى وجود

بشر على الأرض يبدون أكثر حيويـة شقرا ومورذين ثم يصيرون أكثر بياضا واخضرارا •

دانيـــال : وحتى أستريح من رؤية امرأة تضمحل فى لحم رخو ، ليس أمامى غير التفكير فى أوردتى التى ستتمدد وقرحتى التى لا مفر منها •

جـــوزيف : لكن لا تلمنى على شىء • فلست خالقا لشىء •

أوديـــل : منهجك يكشف عن العكس •

دانيـــال : انه انسان عبثى وغير معقول •

جـــوزيف : مـاذا ؟

بـــول : تنكر ؟ (للآخـرين) انه حيوان عبثى وغـير معقول •

راؤول : تتمسك بأن فلسفتك واضحة وسوية ومفتوحة على الأمل ؟

جـــوزيف : جمجمتى يا جمجمتى • كـم أحب ان أجـد أوتوبيسا •

ماتيلدا العجوز : أوتوبيس ؟

جـــوزيف : ميدان الكونكورد •

أوديـــل : ولمـاذا ميدان الكونكورد يا صغيرى جوزيف؟

جـــوزيف : فقط لكى أقول للمحصل : لوفالوا ــ بيريه أو كوبرى ميرابو واسمعه يجيبنى : بعد ثلاثة أقســام .

أوديـــل : (للآخرين) كيف يمكن أن يكون صبى جميل مثل هذا ثوريا ؟

ايفلـــين : باصرارك على قلب نظام العالم والحياة من أعلى الى أســفل .

دانيـــال : (ثائرا) على حسب تقديرك اذن لا يبقى لى بدلا من شفاء عرق النسا الأيمن غير الأمل فى عرق النسا الأيسر بعد أن تتناسق أجزائى .

جـــوزيف : (لجيرار) حتى انت أيها الشاب الهادىء .

آديـــه : أصبح شابا وهادئا ، أتذكر يا حبى غضباتك ؟

جـــوزيف : وانت سوف تقول لى أنك عرفت خطيئتك فى هذه الحالة (يشير الى ماتيلدا العجوز) وأنك مررت رويدا بعمر هؤلاء الثلاثة .

آديـــه : للأسف .. هذا صحيح .. يا للهول .. أتذكر يا حبى الكبير ؟

جـــوزيف : لكنكم جميعا سقطتم فوق رؤوسكم ؟

دانيـــــال : لأن العقل هو الذى يدفعك الى الاعتقاد بأن اللقاء لأول مرة يكون فى هذه السن (يشير الى آديه وجيرار المتشابكين) وهنا يحاول الرجل أن يختار أجمل امرأة فى العالم لتصحبه فى أشد أزماته غير النقيــة (يشير الى أوديل) على أمل أن يعرف بعد ذلك وهو بالقرب منها ورق اللعب والروماتيزم والسعال حتى يعيش سعيدا معها فى آخر سنوات عمره على هــذا الحال (يشـــير الى ماتيلدا العجوز) وقد خلف كل منهما للآخر قبل أن يترك الأرض هذه الذكرى الأخيرة والمحزنة .

(الشخصيات جميعا تنفجر ضحكا فيما عــدا جوزيف وماتيلدا العجوز) .

بـــول : قصته لا تستقيم .

دانيـــــال : (لجوزيف) هيا..هيا..غازل سيدة أحلامك (يشير الى آديه) وقل لها بأى نفاذ صبر تنتظر ان تغدق عليها الحيـــاة بخيراتها وكم ستكون سعيدا لتمكنك من الحزن عليها .

(يجذبه نحو ركبتى ماتيلدا)

يا جميلتى ، يا هدية عمرى .

يا فضيلة حبى المكتسل فى النهاية •
يا مكافأة حياتى وصبرى •
(ضحكات من جديد)

ماتيلدا العجوز : لكن بعد ثلاثين سنة سأصبح جميلة ، جملة جـدا •

راؤول : هذا ما نقوله يا صديقتى الطيبة ، لا تنزعجى •

ماتيلدا العجوز : لكنى منزعجة •

ايفلـين : لا تتذمرى اذن • يكفينا هـذا (تشـير الى جوزيف) بهذيانه •

راؤول : كيف تفسر ذلك الضـلال الذى دفعنى الى الزواج من زوجتى على مثل هذا الوعد بالهرم ؟

جـوزيف : (لآديه) ألم تكن هرما بالفعل ؟

آديـه : طبعا • واللاكيف •• كنت سأعلم بأنى سأصبح شـابا ؟

بـول : وأى ثمن يمنح لجمالها ان لم تكن قد منيت بكل خبرة الحياة ؟

دانيـال : فى عالمك الخيالى اذن ، توكل هذا الجمـال الفائق للجاهلات ؟ لكن أى ورطة ! الشباب

مغامرة جـادة جد لايمكن أن يوكل لمبتدئين
غير مجربين •

جـــيزار : هل تجرؤ على التضحية بقيمة كهذه فى سبيل
اناس منحلين ومترددين ؟

أوديـــل : وتركها للقاءات غبية بالصدفة ؟

ماتيلدا العجوز : لكنى اتمتع بشىء من العقل •

راؤول : حقا •• اهدائى •• وتعلمى ببطء كيف تكونى
يوما جديرة بافضال المستقبل •

ماتيلدا العجوز : (لجوزيف) لكن دافع عن نفسك يا جوزيف•

ايفلـــين : فى عالمكم تكون الحياة اذن هبوط الى الجحيم؟

دانيـــال : هذا الرجل ابليس •

جـــوزيف : مطلقا •• أنـا رجل يريد أن يفهم •

دانيـــال : هنا •• تمثل الله •• انه خالقنا القـادر ••
والقـادر بالضرورة عادل والا كان اليأس من
العدالة (استحسان الجميع) هل تتصور عالمـا
تسير فيه العدالة عاجزة ؟ واللا لمـا كان هناك
أى اتجاه له أى نهاية • ذلك ان حياتنا كاملة
لأنها تجيئنا من الاله الطيب •• لهذه العـدالة

وهذا الكمال .. فاننا نتفق على أن نسعد على حسب قواعد السعادة بلا أى قيد من أى نوع.

جـــوزيف : (لجيرار وآديه) اذن طفتما أنتما الاثنين بالفعل كل مضامير الحياة بهذا المعنى .

آديــــه : هـذا الوحش لن يجبرنى على التذكر ؟ جيرار يعرف جيدا انى خرجت من الخطيئة ثم جئت اليه فى النهاية اليه وحده ، كلى له .

جـــيرار : حبيبتى الغالية ..

جـــوزيف : ولكنه نقاء مبالغ فيه .. ألم تخجلا أحيانا ؟

آديــــه : أو جيرار ! ليسـكت .. (لجوزيف) عندما أتذكر بالطبع .. كيف تريد فتـاة الا تدقق النظر فى حياة امرأة محبة فى الثلاثين .

أوديــــل : أى اشمئزاز ؟ لا يوجد اشمئزاز طالمـا أعلم أن شبابى سيطهرنى .

جـــوزيف : لحظة ! النساء عندنا تستمر أعذارهن وهن فى الثلاثين . لكن ليس عندكم .

أوديــــل : لمـاذا عندكم وليس عندنا ؟

جـــوزيف : ياه .. عنـدنا تحس التعيسات بالشيخوخـة

تقترب فيرغبن فى استثمار الحياة وهن لازلن قادرات على العطاء •• وكلما تقدمت بهن السن كلما اقتربن من الجنون •• فمع الشيخوخة تتشوه وجوههن يوما بعد يوم دون أن يفقدن رغباتهن •• ويسألن فى كل مرة اذا لم يكن قد أحبهن أحد لآخر مرة •• واذا كن لن تلتقين بآخر محب •• وهكذا من المحب الأخير الى آخر محب تصعد وراءهن سلما حقيقيا ! أما أنتم فلا تستطيعون الانتظار طالما ان شبابكم يتجدد يوما بعد يوم •• أليس كذلك ؟

أوديل : والرغبة وعدم الصبر •• ماذا تفعلون بهما ؟ سل هذه •

ايفلين : دعينى اطرز •• هيه ؟

آديه : والرجال الا يعرفون عدم صبرنا ؟ (لجيرار) انت •• عندما كنت أنا فى سن ايفلين ، ألم ترتمى فى أحضان فرناندا لتتعرف قبل الأوان على جسد وروح امرأة مكتملة الجمال ؟

جيرار : واعجابك بالنساء الهرمات ؟ هل نسيتيه ؟

آديه : وهذه المغنية الهزلية التى اعتقدت انك تحبها لانها تنوح بصوت معيزى •

جـــــيرار : وأنت هل نسيتى ريمون ؟ هذا الرجل القوى ، هــذه القدرة الخارقــة لأن الآخرين كانوا ينحنون أمامه ، ألم ترغبى فى الارتمــاء تحت قدميه ؟ تعتقدين أنى نسيت ؟

آديــــــه : وسباحتك الأوليمبية ؟

جـــوزيف : أوه •• بمعنى أو بآخر توجــد دائمــا تلك الضحية •

جــــيرار : وعندما أصبحت أكثر شــبابا وبدأت تحبــين المســنين •

آديــــــه : كان ذلك لكى أســتردك من جديد •• لأنى كنت قد أحببتك منذ البداية فى كل مراحــل عمرك •• وكنت احتفظ بذكرى مغريات حبنا الأولى •

جــــيرار : أنــا أيضا •• كنت مخلصا لك دائما •• كل النساء اللائى كنت قد اعتقدت انى أحببتهن كن شــبيهات لك • جان كان لها عينــاك ، بولين رقتك ، أدموند قلبت كيانى لأنها كانت أصغر منك بعشر سنوات وكانت تمنحنى ما كان عليك ان تمنحينى اياه دائما • قبلك أو بعدك وبالقرب

من كل هؤلاء النساء الساحرات هل كنت أبحث
عن شيء آخر غير وجودك وحدك الى جانبي ؟

آديـــــه : لنكف عن هذا !

جـــيرار : انت نفسك لمـاذا تركت نفســك تتمادين مع
رودلف فى كل نزواته المجنونة ؟ هل منعنى عنه
شيئا ؟ أو منعتى عنه احساسا ؟

جـــوزيف : على طريقتك فان الفتيــات الصغيرات يصبح
لديهن خبرة •

راؤول : وهذا ما يعطى لطهارتهن طعما •

جـــوزيف : (لجيرار) وهــذا الفم الذى يقول لك اليوم
كلمات الحب قد كذب فعلا •• هذه اليمامة
المليئة بالحياة لازال رأسها يحمــل ذكرى كل
الرجال فى حياتها •

دانيـــــال : ولكنها لم تعد تعرفهم •

جـــيرار : ولم تعد تكذب مطلقا •

آديـــــه : أوه كلا •• ليحمنا الله •• كل هــذه الحيــاة
المبتورة تحيا وراءنا •

جـــيرار : بالجمال تصل الى التطهر •

جـــوزيف : عندما كانت زوجتى طاهرة كانت على الأقـل طاهرة .. طـاهرة تماما .. فى البدايـة .. وعندما كانت شابة تقول لى كلمات الحب ، كانت هـذه الكلمات جديدة تماما .

دانيـــال : وهل كنت تستطيع أن تؤمن بالسعادة وأنت تصيح بكلمات الحب المشكوك فيهـا بأكاذيب المستقبل ؟

أوديـــل : عموما وعلى حسـب ما فهمت فان زوجتـك تعلمت معـك دروسـها الأولى لكى تحـب الآخرين ؟

آديـــه : وأحبتك بشكل أو بآخر بالصدفة .

راؤول : لا تخلط بين الطهر والجهل .

ايفلـــين : وفيما يفيد التطهر وسط مصاعب الوجود اذا ما توصلت الروح الى التجمل عنـدما يصبح الجسد على هذه الحالة ؟

ماتيلدا العجوز : لكن جسدى سيتحسن .. ألم تقل لى ذلك بنفسـك ؟

دانيـــال : حقا .. هدئى من روعك .

جـــوزيف : قولى له .. بغير ذكريات ماذا تسمين الحب فى مثل سنك ؟

ايفلـــين : الحب العاقل .

دانيـــال : رغبتنا الملحة فى أن نكون سعداء معا بعد ذلك فى فرحة الشباب .

آديـــه : هذا المسكين لا يفهم شيئا .

ايفلـــين : والحياء .. ماذا تفعل فى حياء النساء ؟

أوديــل : (لراؤول) كم هى محقة .. هل كنت أجرؤ على ربط حيـاتى بحياتك يا حبى لو لم أكن متأكدة من أن صدرى سينهض وأن جسـدى سيستقيم وان شخصيتى ستظل متيقنـة من انى لن أحب سـواك فى النهاية بعد أن أكون قد عبرت كثيرا من الطرق الملتوية (لبول) وهل كنت لأترك نفسى اتخبط فى الخطايا المخيفة بغير هذا الوعد بالجمـال العذرى والخطيئة الهالكة حتى أمنحه حبى الوحيد ؟

بــول : (لأوديل) انت التى ستصيرين يوما بعد يوم أكثر جمالا بين أحضان زوجك .. أوه .

أوديــل : (لجوزيف) اقترب يا صديقى .. الا تعتقد

حقـا اننا نظل على الأرض فى حـالة ماتيلدا العجوز لكى تتذكر حبها الأجمل ؟

جـــوزيف : أنـا .. أريد أن أصـدق حقا .. لكن فى نظامكم تقبلون أيضا الانفصال ذات يوم .

أوديـــل : يحكى أن عناق الرجل فى احدى الليالى يصبح فجأة غاية فى القسوة حتى تطلق الفتاة الصغيرة صرخة مدوية من الألم ثم لا تسمح له بعد ذلك أن يقترب منها .. فى اليوم التالى ترتدى ثيابا بيضاء تماما .. ويلتقى المحبان نادرا بعد ذلك، وعندما يلتقيان يحمر وجههما ويضطربان أمام ذكرياتهما الساحرة ، وقد يجرؤان على التماسك بالأيدى .

جـــوزيف : وبعد ذلك ؟

أوديـــل : يذهبان الى المدرسـة ليتعلما وليقرآن الكتب الجـادة التى لم يجدا الوقت طوال حياتهـا لقراءتهـا .

جـــوزيف : وبعد ذلك ؟

أوديـــل : وبعد ذلك .. شيء محزن .. أليس كذلـك يا دانيال ؟

دانيــــال : لا يهمهما أى شىء ، ثم يفقـدان الذاكرة ••
ثم أسنانهما •• ثم شـعرهما •• يصيحان ••
ولكى نسكتهما •• نضربهما •

أوديــــل : ويمثلان دور الصغار أكثر فأكثر حتى يغض
النظر عنهما •

دانيــــال : وينتظران اختفائهمـا بغير ضـمير خالص ••
ويصبحان كفرعين لم يكن لهما جذور •

أوديــــل : وفى النهاية يحتضران •

جــوزيف : لكنه شىء فظيع •

راؤول : ومن لا يحب ذلك يمكنـه أن يأمل فى الموت
مبكرا •

جــوزيف : دون أن يصبح شابا ؟

دانيــــال : وفى نظامكم يحـدث العكس ، لا تخشـون
الموت قبل أن تصبحوا شيوخا ؟

جــوزيف : أوه ••

(موسيقى • الجميـع يسكتون جوزيف ••
فترة صمت •• البـاب يفتح • يدخل رجـل
مسن جدا) •

الرجل المسن : اعتذر بشدة عن تأخرى ..

ماتيلدا العجوز : انه المولد الجديد المولود الجديد الحقيقى !

الرجل المسن : لكنى امشى بصعوبة .

ماتيلدا العجوز : آوه .. هذا الرجل لى .. انه لى .

الرجل المسن : وأتألم ..

دانيـــــال : ستشفى ..

الرجل المسن : من حسن الحظ .. لكن تنقصنى العادة .

جـــوزيف : هو أيضا مولود الآن ؟

الرجل المسن : جعلونى انتظر قليلا حتى أحمـل اليكم نبـأ لا أعرف كنهه .. لكن يبدو انه خبر طيب .. وان كنت بعد لا أعـلم جيـدا ما هو الخبر الطيب .

ماتيلدا العجوز : سوف نشرح لك ذلك .. ما اسمك ؟ هذا الاسم الذى سأناديك به عندما أصبح جميلة ؟

ايفلـــين : اسكتى اذن .. ليست لديك اللياقة .

الرجل المسن : قالوا لى عند الدخول عندما تصـل اخبرهم بالنبأ الطيب وستستقبل كما المنقذ . وان كنت لا أعلم جيدا بعد ما معنى منقذ .

ماتيلدا العجوز : أنــا •• ماتيلدا •• وانت ؟

الرجل المسن : جوزيف •

ايفلـــــين : أيضــا ؟

ماتيلدا العجوز : لكنه الحقيقى •

بـــول : المعلومة اذن ؟

راؤول : ألازلت تذكر ؟

الرجل المسن : اعتقد • انه تقدم كبير كما يبدو •• اكتشاف علمى عظيم • وان كنت لا أعلم جيــدا بعد ما معنى اكتشاف علمى عظيم •

راؤول : سنشرح لك ذلك •

بـــول : فيما بعد •

دانيـــال : هيــا قــل •

الرجل المسن : يبدو انه بعد أبحاث كثيرة توصــل العلماء الى اضاعة وافساد واخفاء سر القنبلة الذرية •

أوديـــل : أوه •• جوزيف •• حفظنا الله •

بـــول : فقدوا السر •

الرجل المسن : هذا هو الرسمى •

دانيـــــال : (منتصرا) ستصبح الحروب مستحيلة .

جــــوزيف : ليس تماما ! يمكن اعلان الحروب بدون القنبلة الذريــة .

راؤول : لكنك لا تعرف شيئا يا عزيزى .

دانيـــــال : وهل سيتحارب الناس بوجه مكشوف ؟

بـــول : ويلهون بالقفز كالأرانب أمام بندقية صياد .

راؤول : كيف كان يمكن من قبل تصور حرب تبدأ قبل تدمير الجيش المعادى .

ايفلـــين : (وقد أصبحت رقيقــة أخـيرا) عزيزى .. ستصبح حياتنا هادئة ، هدية قيمة لحبنا المقبل.

أوديـــل : (لآديه وجيرار الضائعين دائمـا فى حلمهما) يدعو ذلك لحماس جديد ؟

آديــــه : حبنا الجميـل وحـده هو الذى يستطيع أن يحمسـنا .

دانيـــــال : كان الأنبياء يفكرون تفكيرا سـليما عندما أكدوا ان العلمـاء سيضمحلون يوما وعندئذ

نعرف ان الأرض هى مركز الكون وانها ثابتة تحت النجوم .

جـــوزيف : لكن هذا هو العكس .

دانيـــــال : نعتقد ان الله قد خلق الانسان على شاكلته لكى يجعله يتقلب على الثرى بين الثرى فى خـلاء السماء ؟

بـــول : بما اننا صورة حية لله .. فمن المؤكد أن تكون الأرض هى مركز الكون .

جـــوزيف : والنجوم التى تدور كالشموس ؟

راؤول : وماذا بعد النجوم ؟ تريـد آن تقنعنـا بانك شاهدتها عن قرب مثل شبابك الأول مثلا ؟

ماتيلدا العجوز : لكن لمـاذا يريد أن يدفعنـا الى اليأس .. هذا الجوزيف المزيف .

راؤول : نعم .. لمـاذا ؟

ماتيلدا العجوز : ليركع ! ليطلب الصفح راكعا .

جـــوزيف : أريد حقا أن اصلى معكم .. لكن اعتقد بأمانة انكم مخطئون .

دانيـــــال : قل : اعتقد يا خالقى فى رحمتك اللانهائية •

جـــوزيف : لكنى أرغب فى ذلك حقا • لم أشــك مطلقا فى ذلك •

أوديـــل : بأفكارك الســود الميتة يغرق مستقبلنا وتغرق جيوبنا تحت أعيننا •

الرجل المسن : (يشرب نبيذا) آوه •• ها •• ها •• تبــدو كالبومة الصماء هذه الحياة •

دانيـــــال : ايه •• ها •• لا تسكر فى اليوم الأول •

الرجل المسن : اسكر ؟ ما معنى هذا ؟

ماتيلدا العجوز : سينشرح لك ذلك •

دانيـــــال : (لجوزيف) أما انت فاننا نطردك •

راؤول : الصبى الرائع الجمال ؟

ماتيلدا العجوز : يا له من غاصب ها هو مولودى الجديد •

الرجل المسن : وهذا يدفئك جيدا •

ماتيلدا العجوز : لا تدفء نفسك كثيرا بدورك •

أوديـــل : (برقة) جوزيف •

راؤول : (مضطربا) وبعد يا أوديل •

دانيـــال : (لجوزيف) اذهب لتجد فى ضـلالك آمالك الخاصـة بعرق النسا والقرحـة والأجزيمـا ومغرياتك الخاصة بالصلع ورغباتك الخاصـة فى ضـعف البصر •• هيـا •• اذهب لتنعش روحك الضائعة برؤاك الثقيلة التى تنحدر الى الخطايا والدنس •

ماتيلدا العجوز : خذ •• تنـاول عكازى ستحتـاج اليهمـا فيما بعد ••

راؤول : لم يدعك الله لتعيش معنا •• فى عالم واضح •• سوى ، مفتوح على الأمل •

أوديـــل : (لراؤول) الصبى الرائع الجمال ؟

جـــوزيف : لكى يضعونى على الطريق السليم••كنت أحب شبابى •• وأريد فعلا أن استعيده معكم •• سأقيم كل الصلوات التى تشيرون على بها لكى أساعدكم •

الرجل المسن : (مخمورا) لو أستطيع أن أصبح مفيدا •

أوديـــل : لا تكونوا قساة مع هـذا الصبى التعس •• والساحر معا •• لن أتعجب من أن يكون حزن

بالـغ هو الذى قـلب جمجمتـه .. فـأنتم تتكلمون .. تتكلمون .. دعونى أسأله .. قل لى يا صديقى كنت متزوجا اذن ؟

جـــوزيف : نعـم ؟

أوديـــل : وكانت زوجتك تحبك ؟

جـــوزيف : فى البداية .. نعم .

أوديـــل : فى البداية ؟ كيف ذلك ؟ منذ اليوم الأول .. حب كبير .

جـــوزيف : نعم .. عنـدكم يكون فى النهايـة .. أعرف ذلك .. أما عندنا فيكون فى البداية .. وعندنا يصبح الحب فى النهاية عادة .

أوديـــل : وزوجتك .. ألم تتعلم هـذه العـادة التى تتكلم عنها ؟

جـــوزيف : رحلت قبل ذلك !

أوديـــل : ورأيتها مرة أخرى ؟

جـــوزيف : زوجتى ؟ نهائيا .. فى الحلم فقط .. فى تلك الكوابيس المرعبة .

أوديـــل : حقا ، ولازلت تتألم ...

جـــوزيف : شيء غريب حقا .. انسان لايوجد بيننا .. لا نراه .. ولا نلمسه .. ومع هـذا يؤلمنـا الى درجة الصراخ .

أوديـــل : ذهبت مع أحد أصدقائك ؟

جـــوزيف : ولا هذا حتى ! مع رجل ما .

أوديـــل : لم تكن تعرفه من قبل ؟

جـــوزيف : ربما كانت تعرفه جيدا ! بالنسبة للنساء لايمكن ادعاء أى شيء .

أوديـــل : حدث ذلك منذ زمن بعيد ؟

جـــوزيف : يخيل الى انه حدث بالأمس وأيضا فى مطلع حياتى وفى صدر الزمن .

أوديـــل : كم كانت تبلغ من العمر ؟

جـــوزيف : ست وعشرون عاما .

أوديـــل : وكانت جميلة ؟

جـــوزيف : أوه .. نعم رائعة الجمال .

أوديـــل : آه حقـا كـدت أنسى .. طبيعى .. كانت جميـلة .

جـــوزيف : لأنهـــا وهى فى العشرين كانت أجمــل من امبراطورة من الامبراطورية الثانية .

أوديــــل : والآن هى هرمة تضمر وتتثاقل .

جـــوزيف : قانون الطبيعة .

أوديــــل : والذى خطفها هو الآخر يزبل وينحنى .

جـــوزيف : ليس بعد ربما .. لكن سيحدث .

أوديــــل : وفى نهايــة قصــة الامبراطورة الجميلة التى خطفت لا يبقى بين ذراعى خاطفهـــا غير بقايـــا انسانة ممسوخة ومخيفة .

جـــوزيف : (ساخرا) ايه .

أوديــــل : أصــدقائى المسألة بسيطة .. هــذا الصبى الســاحر لكى يتجنب كارثة أخلاقيــة ولكى يتغلب على حزن رهيب .. هرب الى فــكرة محددة وهى أن زوجته تركته لتتبع حبيبها .

جـــوزيف : (وهو يتعذب) أوه .

أوديــــل : لا يعرف أين تختفى .. يعرف فقط انها بين ذراعى رجل آخر .

جـــوزيف : أوه ..

أوديـــل : وحتى يتجنب يأسه لا يستطيع أن يكف عن التفكير فيها .. وهكذا يردد بلا ملل أنها تبلغ الشيخوخة .. انها تبلغ الشيخوخة .

جـــوزيف : وحبيبها أيضا ، يبلغ الشيخوخة !

أوديـــل : (منتصرة) وهو أيضا يبلغ الشيخوخة .. هل ترون ! الاختبار يفضى الى نهايات واضحة جدا جوزيف يمارس ببساطة حلما تعويضيا ؟

راؤول : لكن اذا كان تحليلك سليما فلماذا يتصور اذن انه يسير هو أيضا نحو الشيخوخة ؟

دانيـــال : (مقتنعا بهذا الاعتراض) فعلا لماذا ؟

أوديـــل : الأمر سهل وهذه الملاحظة تؤكد بطريقة لا تقبل المناقشة تشخيصى بأنه يحيا مرة أخرى شيخوخته وسنوات عمره الناضجة وهى المرحلة التى كان فيها سعيدا مع زوجته .

جـــوزيف : ماذا ؟

أوديـــل : انه الكشف اللاشعورى عن رغبته فى استعادة زوجته ، وحبه وسعادته .

بـــول : انت محللة غاية فى الحساسية •

الرجل المسن : (مستمرا فى الشراب) هيه •• هيه • شىء مســلى •

ماتيلدا العجوز : من الغد أنت ، سأضعك فى المــاء !

أوديـــل : (لجوزيف) صــديقى لقد لجــأت الى قصة من فعل الجان حتىتتجنب ألمــا رهيبا سأهديك بكل هدوء الى الطريق الصحيح •• وأعلمك من جديد سعادة الحياة •

راؤول : أوديل •• أوديل •• آه •• لا •

أوديـــل : ولكى اساعدك سنلعب لعبتك سأسمى زوجتك ماتيلدا •

جـــوزيف : (فى ضيق) لكنها كانت تدعى ماتيلدا •

أوديـــل : مثل عجوزنا ماتيلدا ؟ لا أدرى لمــاذا ولكنى كنت سأحكم عليها • يا حبى الغالى المسكين •

راؤول : أوديل (لبول) لكن افعل شيئا انت •

أوديـــل : صغيرى جو ، اتبعنى الى السطح •

جـــوزيف : (لأوديل) ولم لا ؟ بعد كل شىء فانى أريد حقا أن أحاول الحياة فى الاتجــاه الآخر ••

لكن يجب على أن انبهك •• لتعلمى ما أعلمه
وهو ان شبابا جديدا سيتسبب فى تطاير الشرر•

ايفلـــــين : ويعـــود •

جـــوزيف : (لراؤول) هل تسمح ؟ سنتطهر •

أوديـــــل : يا له من شيءفظيع !

(موسيقى •• يخرجان)

الرجل المسن : (مأخوذا بآلامه) أى ! أى !

ماتيلدا العجوز : يقولون أن الآلام تنتهى بحكم السن •

راؤول : أوديل •• أوديل •

بـــول : (لراؤول) لا يحق لك أن تشـــكو ســـوف يعودان اليك •

أيفلـــــين : (لدانيال) العب •

(يمسك بورقة واحدة ولا يلعب)

الرجل المسن : لكن قولى •• تعدينى بأن تصبحى جميلة •

ماتيلدا العجوز : نعم وانت أيضا ستصبح جميـــلا يا صغيرى جوجو •

ايفلـــين : العب (آديـه وجيرار يتجهـان نحو بـاب الخروج) .

آديـــه : وفى يومنـا الأخـير أكون فى ثوبى الأبيض الطويـل .

ايفلـــين : العب (دنيال لا يجرؤ على اللعب) .

جـــيرار : ويختفى الاثنان فى النهاية كما لو كانا ملاكين . (يختفيـان)

ايفلـــين : العب !

دانيـــال : (بحزن بالغ) الملك !

ايفلـــين : أوه كم تزعجنى .

دانيـــال : كونى صبورة بما ان الله بفضـله اللانهـائى يقودنا عاما بعد عام نحو السعادة والشـباب والحب . (موسيقى عنيفة)

(ســتار)

باريس – يناير ١٩٥٢

يونسكو ..
ومسرحه الغريب !

ولد « أوجين يونسكو » فى سلاتينا برومانيا يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٢ .. تردد بين الدراسة الدينية والدراسة العسكرية.. لكنه التحق بجامعة بوخارست ليدرس الأدب الفرنسى وفاء لأمه الفرنسية .. واتجه الى المسرح فى سن متأخرة (٣٧ سنة) عن طريق المصادفة .. كتب « المغنية الصلعاء » سنة ١٩٤٩ ثم « الدرس » سنة ١٩٥٠ ، وعرضت المسرحيتان على مسارح الجيب ففشلتا فشلا ذريعا وهوجمتا من النقاد هجوما حادا وعنيفا .. ولكن يونسكو سرعان ما عرف مع « بيكيت » كأهم كاتبين لما سمى بمسرح الطليعة أو مسرح العبث واللامعقول .

وابتداء من عـام ١٩٥٤ ، وبعد أن قـدم « يونسكو » مسرحيته الثالثة « اميديه » لم تتوقف المسارح عن تقديم عروض له سـواء فى فرنسا أو خارجها ولم تتوقف المطـابع عن طبـع مسرحياته فى لغتها الفرنسية واللغات المختلفة التى تترجم اليهـا وعن طبع الدراسات العديدة التى تتناوله هو ومسرحه بالتقييم والتحليل .

وقد كرمته « فرقة الكوميدى فرانسيز » العريقة فقدمت فى سـنة ١٩٦٦ مسرحيته الكبيرة « الجـوع والعطش » التى أخرجها « جان ــ مارى سورو » أحد كبار المخرجين فى فرنسـا اليوم .. كما كرمته الدولة الفرنسية فمنحته جائـزة المسرح الكبرى فى أول عام لها ، عام ١٩٦٩ .

أما مسرحيته الأولى ومسرحيته الثانية فيقدمهما « مسرح الجيب » فى عرض واحد منذ أكثر من عشر سنوات بلا انقطاع .

يقول « يونسكو » : لا شىء يضحك ، كل شىء يبكى .. لا شىء يبكى ، كل شىء يضحك .

وهكذا يصور شخصيات مسرحيـاته .. انه يصـورها تصويرا كاريكاتيريا على الرغم من أنها جـادة تماما فيما تفعل وتقول .. وسواء كان ما تفعله حركات هازلة أم أن ما تقوله عبارات ضاحكة وساخرة ، فالامعان فى الجد ازاء شىء هزلى يعطى احساسا أعمق بالمهزلة .

ويرى يونسكو أن التمثيل ما هو الا صـــورة للشخصية وليست الشخصية نفسها •• وعلى هــذا فليس من الضرورى أن يقوم بدور الفتى ممثل شــاب ويقوم بدور العجوز ممثل طاعن فى السن •• بل من الأفضل أن يحدث العكس تماما ، حتى يعطينا هــذا الممثل أو ذاك صورة الشخصية التى يقوم بها وليست شخصيته هو •• بل يذهب يونسكو الى أكثر من ذلك عندما يجعل الرجل ممثلا لدور المرأة ، كما فى مسرحيتــه « الدرس » وفى هذه المسرحية « فتاة للزواج » •

ويؤكد يونسكو أن مفتاح العمل الفنى لمسرحياته هو ادراك الجو الذى تعيش فيه الشخصيات وهو « لا واقع الواقع » ــ على حد تعبيره ــ مع عدم الاهتمــام بقواعد المسرح التقليدى ••

أما النقاد فقد لاحظوا أن مسرحيات يونسكو كلها تدور حول محورين أساسيين لا ثالث لهما •• « مأســاة اللغــة » و « انعدام الاتصـــال » •• ذلك أن اللغــة التى تستخدمهــا شخصياته المسرحية تبدو عقيمة ، غير محددة المعــانى وقد تحمل كلماتهــا أكثر من معنى ، بحيث تتحول الى موصـــــل ردىء للتفاهم ، مما يؤدى فى النهاية الى سوء التفاهم وسوء الفهم بل والى نتائج عكسية وسيئة •• كذلك تحيا شخصيات يونسكو المسرحية منفصلة داخل ذواتها بعد أن انعدم الاتصال والتواصل

بين بعضها البعض ، فكل شخصية تحيا حياتها وحدها وتجتر ذكرياتها وتنفث أفكارها الخاصة بها وتعزل أحلامها التى تحلم بها بعيدا عن الآخرين .

هكذا رأينا تلميذة (الدرس) و (المغنية الصلعاء) والكاتب الفاشل (اميديه) والزوج المعذب فى (ضحايا الواجب) والزوجان الوحيدان فى (الكراسى) والملك فى (الملك يموت) والانسان الوحيد فى (الخرتيت) والانسان الغريب فى (الجوع والعطش) والفتاة الرجل فى هذه المسرحية (فتاة للزواج) .

ولاشك فى النهاية أن معرفة الكاتب أى كاتب والتعرف عليه ، انما تتأتى فى المقام الأول من قراءة انتاجه .. وهذه المسرحية القصيرة تمثل ـ على قصرها ـ أدب يونسكو المسرحى وجانبا كبيرا من فكره الفلسفى أيضا .

***

فتـــاه للزواج

مسرحية : أوجين يونسكو

● فتاة للزواج

● يونســـكو

المشــهد :

يدور فى حديقة عامة ، على أريكة تجلس سيدة تضع على راسها قبعة محلاة بالزهور ودبوس كبير ، تمسك حقيبة وترتدى ثوبا طويلا وجاكت بنفسجى اللون .. الى جوارها يجلس رجل يرتدى حلة سهرة ذات ياقة عالية ورباط عنق اسـود ، اما لحيتـه فيكسـوها البياض .

السـيدة : يمكننى أن أقول لك أن ابنتى كانت متفوقـة فى دراستها .

الرجـل : هذا ما لم أكن أعرفه ولكنى كنت أتوقعه .. كنت أعلم فقط أنها فتاة شجاعة .

السـيدة : لم يكن عندى ما أشكو منه ، كما هو الحـال عند الكثيرين من الأهالى ، فقد أرضتنا دائما .

الرجـل : هذا شرف لكما ، فقد نجحتمـا فى تربيتها ، لأن الطفل المثالى نادر الوجود خاصة فى عصرنا هذا .

السـيدة : حقـا !

الرجـل : فى زماننـا كان الأطفال أكثر طاعـة وأكثر حبـا للأبوين .. كانوا يقدرون تضحياتهما وهمومهمـا ومشاكلهما المـادية .. لكن من الأفضل أن يجهلوا مثل هذه الأمور .

السـيدة : حقا ! .. كانوا أيضا أكثر ..

الرجـل : كانوا أيضا أكثر عددا من الآن ..

السـيدة : حقا ! .. يبدو أن عدد المواليد ينخفض فى فرنسا .

الرجـل : هناك ارتفاع وانخفـاض ، أما نسبة المواليد الآن فتميل للارتفاع .. ولكن لا يمكن أن يعوض هذا سنوات القحط .. لا يمكن قول ذلك !

السـيدة : كلا بالطبع .. عندك حق .. تخيل !

الرجـل : نعم ، ان تربية الصغار فى وقتنا هـذا من الأمور البالغة القسوة .

السـيدة : حقا ! أنـا لا أدرى بذلك .. ان تكاليف الحيـاة

فى ارتفاع مستمر .. أننا نحتاج الى كل شىء ،
كل شىء نحن فى حاجة اليه الآن .

الرجـل : ما هو مصيرنا ؟ .. ان الحياة الانسانية وحدها
هى الشىء الأرخص اليوم .

السـيدة : حقا ! .. هذا صحيح .. انك فعلا على حق .

الرجـل : الزلازل وحوادث السـيارات والطـائرات وكل
أنواع المركبات والآفـات الاجتماعية والانتحـار
والقنبلة الذرية .

السـيدة : أوه ! أما هذه .. يبدو أنها قد غيرت طبيعة الجو ،
فلم نعد نعرف فصول السنة ، لقد قلبتها رأسـا على
عقب ! .. وهناك أشياء أخرى .. أتدرى ماذا يقول
النـاس ؟ !

الرجـل : أوه ! يقولون أشياء كثيرة .. ولكن لو صـدقنا
كل ما يقوله الناس !

السـيدة : هذا صحيح . فلن ننتهى أبدا .. حقا ! فالجرائد
تكذب وتكذب وتكذب .

الرجـل : افعلى مثلى يا سـيدتى ولا تثقى بأحد مطلقـا ،
ولا تصـدقى شيئا ولا تتركيهم يملأون رأسك .

السيدة : حقا ! .. من الأفضل الا أتركهم يملأون رأسى .. أنت خير ناصح .

الرجل : أوه ! انى أتمتع بقليل من الفطنة ، هذا كل ما فى الأمر .

السيدة : ولكن الجميع لا يستطيعون أن يفعلوا مثلك !

الرجل : والآن يا سيدتى ، هل ترين ، فالكل يبحث عن التسلية والملذات والانفعالات .. السينما والاذاعة والتليفزيون والأسطوانات والمجلات وركوب الطائرات ، هذا فضلا عن الضرائب .

السيدة : نعم ! هذا كلام فى موضعه .

الرجل : والسجون والشوارع الرئيسية والتأمينات الاجتماعية وكل شىء كل ما ..

السيدة : حقا ! .. حقا ! ..

الرجل : كل ما يجعل الحياة الحديثة سحرا ، كل هذا قد غير الانسانية الى الحد الذى جعل التعرف عليها مستحيلا .

السيدة : وهذا ليس فى صالحها .. حقا !

الرجل : ولكن التقدم المضطرد لا يجدى .

السيدة : صحيح !

الرجل : فى التقنية ، فى العلوم التطبيقية ، فى الميكانيكا ، فى الآداب والفنون .

السيدة : نعم ، بكل تأكيد .. وينبغى أن نكون عادلين ، فان الظلم شىء فظيع .

الرجل : يمكننا أن نصل بالعقول أيضا الى أن الحضارة تتطور بلا انقطاع فى اتجاه سليم ، وهذا بفضل الجهود المشتركة لجميع الأمم .

السيدة : هذا صحيح ، وكنت على وشك أن أقول ذلك .

الرجل : فكم من مسافات قطعناها منذ كان يعيش أجدادنا فى الكهوف ، يفترسون بعضهم البعض ويتغذون بجلود الخرفان .. يا له من مشوار طويل قطعناه .

السيدة : أوه .. حقا ! .. حقا ! .. والتدفئة يا سيدى ، ماذا عن التدفئة ؟ ! هل كانت توجد تدفئة فى الكهوف ؟ !

الرجل : أنظرى يا سيدتى العزيزة ، عندما كنت غلاما .

السيدة : يا لها من مرحلة سعيدة .. كم هى سعيدة هذه السن !

الرجـــل : كنت أعيش فى الريف .. ولازلت أذكر .. كنـــا ندفىء أنفسنا بحرارة الشمس ، صيفا وشـتاء ، وكنا نضىء بيوتنا بالنفط .. كان أرخص فى ذلك العهد من اليوم .. وأحيانا كنا نضىء بالشموع .

الســـيدة : وذلك ما يحدث حتى الآن ، عندما ينقطع التيـــار الكهربـــائى .

الرجـــل : ان الآلة أيضا ليست كاملة ، فلقد اخترعها الانسان وبالتحديد الرجل ، ولذلك ففيها كل نقائصه !

الســـيدة : أوه ! لا تحدثنى عن نقائص الرجال ، انى أعرف جيدا ، فالرجال ليسوا أفضل من النساء ، الكل سواء ، ولا مجال للمفاضلة أو الاختيار .

الرجـــل : مفهوم .. ولكن لمـــاذا يطلب من الرجل أن يؤدى جهدا تعجز الآلة نفسها عن تأديته ؟ !

الســـيدة : أعترف بأنى لم أفكر فى ذلك قط .. أما اذا فكرت فى الأمر جيدا فانى أرى أن ذلك يحدث فعلا .

الرجـــل : سيدتى ، ان مستقبل الانسانية فى الغد .. ولكن العكس هو الصحيح بالنسبة للحيوان أو النبات.. ولا ينبغى أن تتصور أن الآلة ستحل محل الانسان وأننا لن نبذل أى جهد فى المستقبل .

السـيدة : أنـا لم أقل ذلك .

الرجـل : كنت أقول أن الانسان هو أرقى الآلات الانسانية . فالانسان هو الذى يدير الآلة ، لأنه هو العقل !

السـيدة : قول جميل !

الرجـل : أما الآلـة فهى الآلة .. الا اذا استثنينا الآلـة الحاسبة التى تحسب وحدها .

السـيدة : هذا صحيح .. فهى تحسب تلقائيا .. قولك فى منتهى الصواب .

الرجـل : وما هذا الا استثناء يؤكد القاعدة .. فمنذ برهـة كنا نتحدث عن النفط والشمع ، أيامها كنا نشترى البيضة بسنتيم واحد لا أكثر .

السـيدة : غير معقول !

الرجـل : صـدقينى .

السـيدة : لا أشك فى قولك !

الرجـل : كنا نتناول العشاء بعشرين سنتيما .. ولم يكن الطعام يكلفنا كثيرا فى ذلك الوقت .

السـيدة : لقد تغيرت الأحوال الآن .

الرجـــل : كنا نشترى الحذاء الجيد بثمن لا يتجاوز الفرنك الواحد .. ان شباب اليوم لا يعرف ذلك .

الســـيدة : انه لا يدرك مدى السعادة التى يعيش فيهـــا ! ان الشباب ناكر للجميل ، جاحد .

الرجـــل : كل شيء الآن قد زاد ثمنه ألف مرة ، فهل يمكننا القول بأن الآلة اختراع طيب وأن التقـــدم شيء جيـــد ؟ !

الســـيدة : بالطبع لا !

الرجـــل : سوف تقولين أن ثمة تقدما سليما وتقدما خاطئا .

الســـيدة : لا .. لا ! لا يمكننى قول ذلك .

الرجـــل : ولم لا ؟ ! يمكنك قوله ، فهذا حقك !

الســـيدة : موافقـــة !

الرجـــل : انى احترم كل الآراء .. فأفكارى ليست جامدة .. الثورة الفرنسية مثلا ووليم الثانى وعصر النهضـــة ولويس الرابـــع عشر وكم من تضحيـــات عديدة أخرى ، لم تضع هباء ! لقد دفع الانســـان غاليا ثمن حريته .

السـيدة : حقا ! .. فنحن أصحاب هذه الدنيا ، ولا ينبغى أن يضايقنا أحد فى بيتنا .

الرجـل : جان دارك ! .. ألم تسألى نفسك ما الذى يمكنها أن تقوله جان دارك اذا ما رأت كل هذا ؟ !

السـيدة : سألت نفسى أكثر من مرة هذا السؤال ! ..

الرجـل : هى التى كانت تسكن كوخا باليا .. هل كان يمكنها التعرف على هذه التغيرات ، حتى بالاشارات اللاسلكية ؟ !

السـيدة : أوه ! بالطبع لا .. لم تكن لتتمكن من ذلك !

الرجـل : ربمـا !

السـيدة : حقا ! .. ربما .. ! على الرغم من كل شىء .

الرجـل : كلما تذكرت أن الانجليز أحرقوها حية هم الذين حرروا فيما بعد حلفاء لنا .

السـيدة : من كان يصدق ذلك !

الرجـل : وهناك أيضا انجليز طيبون !

السـيدة : وهناك أيضا انجليز أشرارا !

الرجـل : هل تعتقدين أن كورسيكا أسعد حالا ؟ !

السيدة : لم أقصد ذلك .

الرجل : ولكن أهل كورسيكا يفعلون شيئا على الأقل !

السيدة : شر لابد منه !

الرجل : الشر لا يمكن أن يكون ضروريا !

السيدة : موافقة !

الرجل : (يهب واقفا) سيدتى لقد نطقت الآن بكلمات عظيمة ، تستحق أن تدون كالحكم المأثورة .. اسمحى لى أن أهنئك..ها هو وسام الاستحقاق.. (يعلق شارة على صدرها) .

السيدة : (وكلها خجل) ولكنى يا سيدى ، لست سوى سيدة فى نهاية الأمر .. الا اذا كنت صادقا !

الرجل : أؤكد لك ذلك يا سيدتى .. فالحقيقة تنبع من العقل ، أيا كان هذا العقل .

السيدة : أوه ! أنت تجاملنى !

الرجل : (يعود للجلوس) سيدتى ، لقد لمست النقطة الحساسة ، ولا سيما الرذيلة الأساسية فى مجتمعنا هذا ، تلك الرذيلة التى أمقتها .. ومع هذا فانى لا أرغب فى التوصل الى حل تضامنى مع هذا

المجتمع .. ولا أرغب فى الوقت نفسه فى الانفصال عنـه .

السـيدة : هذا لا يصح .

الرجـل : ان مجتمعنا يا سيدتى لم يعد يحترم أى مهنة .. أنظرى الى هجرة أهل الريف الى المدن .

السـيدة : نعم يا سيدى انى أنظر .

الرجـل : وبما أنه لا يحترم المهن ، فهو لم يعد يحترم الانسان بالطبع !

السـيدة : حقا ! .. أنت على حق !

الرجـل : ربما لم يعد الانسان قادرا على فرض الاحترام !

السـيدة : ربمـا !

الرجـل : ولكن علينا أن نحترم الصغار على الأقل ، لأنه اذا لم يعد هناك أطفالا ، فان الجنس البشرى سيتعرض للفناء بعد وقت قصير .

السـيدة : هذا ما كنت أفكر فيه الآن .

الرجـل : لأننا قد نصل الى عدم احترام كلمة الشرف !

السـيدة : فظيـع !

الرجـــل : وما يزيد من فظاعة الأمر أن الكلمـــة مقدســـة ولا ينبغى أن نسخر منها •

الســـيدة : أشاركك الرأى تماما ، ولهذا السبب بالذات أردت أن تتعلم ابنتى تعليما قويما وأن تحصل على وظيفة محترمة حتى تكسب عيشها بشرف وبفضـــل جهدها من احترامها لنفسها •

الرجـــل : خير ما فعلت •• وماذا تعلمت ؟ !

الســـيدة : أتمت دراستها العليا •• وكنت أحلم دائما بأن أجعل منها كاتبة •• وها هى الآن قد حصلت على شهادتها وسوف تتعاقد فى القريب على عمل مناسب •

الرجـــل : لابد أنك فخورة بها !

الســـيدة : هى نفســـها ترقص من الفرحة ليل نهـــار •• فلقد أجهدت نفسها فى الاستذكار •• صغيرتى المسكينة !

الرجـــل : وها هى الآن تحصل على المكافأة •

الســـيدة : لم يعد الا أن أجد زوجا مناسبا •

الرجـــل : حقا ! يبدو أنها فتاة طيبة !

السـيدة : (تنظر فى الكواليس) أوه ! ها هى قادمة .. دعنى أقدمها لك .

(تدخل ابنة السيدة ،فاذا به رجل فى الثلاثين من عمره ، قوى البنية ، واضح الرجولة ، له شـارب أسود ويرتدى حلة رمادية)

الفتاةالرجل : طاب صباحك يا أمى .

(يتضح أن صوته قويا يشير الى رجولة كاملة .. يقبل أمه)

السـيدة : اذهبى لتحية السيد .

الفتاةالرجل : (يؤدى حركة الانحناء التقليدية) طاب صباحك يا سيدى .

الرجـل : طاب صباحك يا صغيرتى !

(للسيدة) انها مؤدبة حقا .. كم تبلغ من العمر ؟

السـيدة : ثلاثة وتسعين عاما !

الرجـل : لقد بلغت اذن سن الرشد .

السـيدة : كلا .. انها مدينة لنا بتسعين عاما ، ولا يبقى لها الا ثلاثة عشر عاما .

الرجــل : سوف تمضى هذه الأعوام بنفس سرعة الأعوام الأخرى •• أوه !

(للفتاة الرجل) لازلت اذن قاصرا ؟ !

الفتاةالرجل : (بصوت مرتفع جدا) نعم ، لكل قاصر من يزيدها قصــورا •

(الرجل والســيدة ينهضان مفزوعين •• يتبــادل الثلاثة نظرات دهشة بينما تضم السيدة يديها) •

(ســتار)

كتب أخرى .. للمترجم

صـــدرت :

١ ـ مهاجر بريسبان

مسرحيـة جـورج شـحادة دار المعارف ١٩٦٩

٢ ـ الآلـة الجهنمية

مسرحية جان كوكتو **الأنجلو** ١٩٦٩

٣ ـ انفعــالات

قصص ناتـالى سـاروت هيئـة الكتـاب ١٩٧١

٤ - دقـات المسرح

دراســـات ونقــد تطبيقى هيئـــة
الكتـــاب ١٩٧٣

٥ - ليــلة القتــلة

مسرحيــة خوزيه تريــانا هيئـة
الكتــاب ١٩٨٠

٦ - كهف الحـكيم

دراســـات عن اهــل الكهف دار
المعــارف ١٩٨٠

٧ - صرخات فوق المسرح

رؤى ودراســـات غربيــة دار
المعــارف ١٩٨٠

٨ - شباب هذا العصر

رؤى ودراســات غربيـــة المركـز
الجــامعى ١٩٨١

٩ - أزمة انسان العصر

عن جرنيــكا الأسبانيـــة دار
المعــارف ١٩٨١

١٠ ـ سينما نعم سينما لا

دراســـات ونقـد تطبيقى هيئـة الكتــاب ١٩٨٢ .

١١ ـ الجحـــيم

روايـــة هنرى باربوس هيئـــة الكتــاب ١٩٨٦

١٢ ـ دون كيشــوت

مسرحيـة ايف جاميـاك هيئـــة الكتــاب ١٩٨٧ .

١٣ ـ نبض العصــر

دراســـات ونقـــد تطبيقـــى، المـواهب ١٩٨٧

١٤ ـ فصل من الكونغو

مسرحيـة ايميــه سيزير هيئـــة الكتــاب ١٩٨٧ .

١٥ ـ ليــلة القــدر

روايـة طــاهر بن جـلون هيئـــة الكتــاب ١٩٨٨

١٦ ـ قمم عربية وغربية

حـــوارات ونـــدوات الشركـة
العربيــة ١٩٨٨

١٧ ـ الانسان كلمــة

دراسات وشخصيات عربية وغربية
هيئة الكتاب ١٩٨٨

١٨ ـ مفكرون لكل العصور

دراسات وشخصيات فلسفية الدار
المصريــة ١٩٨٩

١٩ ـ ألوان العصـــر

دراسات وشخصيات تشكيلية دار
المريخ ١٩٨٩

الفهــرس

	الصفحة
تصـــــدير	٧
جان كوكتو والمسرح الشاعرى	٩
انتيجون : مسرحية جان كوكتو	٥٩
سالاكرو .. واتجاهه الممنوع	٩٥
اتجـاة ممنـوع	٩٩
يونسكو .. ومسرحية الغريب	١٥٩
فتاة للزواج : مسرحية اوجين يونسكو	١٦٣
كتب اخرى .. للمترجم	١٧٩

رقم الايداع ٤٥٩٧/١٩٨٩

الترقيم الدولى ٨ ـ ٢١٧٣ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب